جامعة الأزهر

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

قسم الثقافة الإسلامية

غزوة أُحُـــد

دراسة دعوية

إعداد

محمد يوسف محمد خضر

الأستاذ المساعد في قسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر الشريف

١٤٣٢هـ = ٢٠١١م

ملخص البحث:
يتوخى هذا البحث الكشف عن الدروس الدعوية ومنهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دعوته إلى الله تعالى في غزوة أحد، ومحاولة التعرف على الصعوبات والمعوقات التي اعترضت طريق الدعوة في الماضي ومحاولة الاستفادة من هذه الدراسة في العصر الحاضر.

ويبدأ البحث بالحديث عن التخطيط وأهميته في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ثم صفات الدعاة من خلال أحداث غزوة أحد ، فيتناول صفة: العزيمة وعدم التردد، والبذل والتضحية، والرفق بالمدعوين وعدم تيئيسهم إلى غير ذلك من الصفات، ثم يتحدث عن أهمية الشورى في الدعوة إلى الله تعالى، وبيان ذلك في غزوة أحد، ثم يذكر المعوقات في طريق الدعوة من خلال أحداث غزوة أحد، ومنها: الاختلاف والتنازع، وإيثار الدنيا على الآخرة، ومخالفة أمر القيادة، والالتفاف حول الأشخاص دون المبادئ، ثم الحديث عن قوانين النصر والهزيمة من خلال أحداث غزو أحد، ثم يتكلم عن سنة الابتلاء، وعن دور المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله تعالى.

الكلمات الدالة:
غزوة-أحد-دراسة-دعوية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولى الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ففتح الله به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، وانتقل الناس بالإيمان به من الضلالة إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الجهالة إلى الرشاد والفلاح. وبعد..

فإن أفضل ما اشتغل به الباحثون بعد كتاب الله تعالى دراسة سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1].

وقد تناول الباحثون سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) من جهات كثيرة، فهناك الدراسات التاريخية والتربوية والسياسة... وغيرها من الدراسات التي قام بها الباحثون حول سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)

من هنا كان على الدعاة إلى الله تعالى أن يهتموا بدراسة السيرة النبوية وبيان واستخراج ما فيها من دروس وعبر وعظات، والوقوف على منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) ووسائله وأساليبه في الدعوة إلى الله تعالى لتكون لهم منهاجا وسراجا منيرا.

ومن الجوانب العظيمة في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) . وكل سيرته (صلى الله عليه وسلم)عظيمة . دراسة غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم).

لذلك فإني استعنت بالله تعالى وقمت بكتابة هذا البحث بعنوان: (غزوة أحد . دراسة دعوية).

---

١ . سورة الأحزاب الآية ٢١ .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ . إفاضة القرآن الكريم في الحديث عن غزوة أحد، فقد تحدث القرآن عنها في إحدى وستين آية كاملة في سورة (آل عمران) من آية (١٢٠ . ١٨٠)

٢ . الرغبة الشديدة من الباحث وحبه للعيش قي ظلال سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم).

٣ . أهمية هذه الغزوة في تاريخ الدعوة الإسلامية، واشتمالها على الكثير من الدروس والعبر والحكم والأحكام.

٤ . حث الدعاة على الاستفادة من السيرة النبوية في حقل الدعوة، والسير على منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة إلى الله تعالى.

مشكلة البحث:

تتمثل المشكلة البحثية لهذا البحث في الكشف عن الدروس الدعوية ومنهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دعوته إلى الله تعالى في غزوة أحد، ومحاولة التعرف على الصعوبات والمعوقات التي اعترضت طريق الدعوة في الماضي ومحاولة الاستفادة من هذه الدراسة في العصر الحاضر.

منهج البحث:

المنهج الذي سأستخدمه لدراستي – إن شاء الله – هو المنهج الاستردادي أو المنهج التاريخي[1] وذلك بالعودة إلى سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام في أحداث تلك الغزوة.

وكذلك سأستخدم المنهج الاستدلالي[2] لأستخلص الدروس والفوائد الدعوية من خلال القضايا التاريخية لأحداث تلك الغزوة.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة: فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول بعنوان: التخطيط وأهميته في مجال الدعوة إلى الله تعالى. وفيه ثلاثة مطالب:

---

(١) المنهج الاستردادي أو التاريخي: هو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار آياً كان نوع هذه الآثار، انظر مناهج البحث العلمي ص (١٩) لعبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالات المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة،١٩٩٧م.

(٢) المنهج الاستدلالي: هو استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة، أو هو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم.

انظر ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص (١٤٩) لحبنكة الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

المطلب الأول: مفهوم التخطيط لغة واصطلاحا.

المطلب الثانى: أهمية التخطيط وضرورته للعمل الدعوى.

المطلب الثالث: تخطيط الرسول ﷺ في غزوة أحد.

المبحث الثاني: صفات الدعاة من خلال أحداث غزوة أحد وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:. العزيمة وعدم التردد.

المطلب الثاني: البذل والتضحية.

المطلب الثالث . . الرفق بالمدعوين وعدم تيئيسهم.

المطلب الرابع . العزة والإباء وعدم الوهن والضعف.

المطلب الخامس . صفات أخرى (العفو . الاستغفار . الاستعانة بالله واللجوء إليه . الشورى . الاستفادة من الأخطاء . القلب الكبير).

المبحث الثالث: أهمية الشورى في الدعوة إلى الله تعالى. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية الشورى في حياة الأمة .

المطلب الثاني: الشورى في غزوة أحد.

المبحث الرابع:معوقات في طريق الدعوة من خلال أحداث غزوة أحد. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاختلاف والتنازع.

المطلب الثاني: إيثار الدنيا على الآخرة.

المطلب الثالث . . مخالفة أمر القيادة.

المطلب الرابع . الالتفاف حول الأشخاص دون المبادئ.

المبحث الخامس:قوانين النصر والهزيمة من خلال أحداث غزو أحد ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول . النصر بيد الله وحده ولن يقف أحد أمامه مهما كانت قوته.

المطلب الثاني . نصر الله تعالى لا يتنزل إلا على المؤمنين.

المطلب الثالث . الوحدة والترابط أساس في النصر، والتفرق والاختلاف سبب للفشل والهزيمة.

المطلب الرابع . الطاعة لله ولرسوله أساس في النصر، أما المعصية فتقود إلى الهزيمة.

المطلب الخامس . حب الدنيا رأس كل خطيئة.

المبحث السادس: سنة الابتلاء.

المبحث السابع: دور المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله تعالى.

الخاتمة.

المبحث الأول:
التخطيط وأهميته في مجال الدعوة إلى الله تعالى
المطلب الأول:
مفهوم التخطيط لغة واصطلاحا
المطلب الثانى:
أهمية التخطيط وضرورته للعمل الدعوى
المطلب الثالث:
تخطيط الرسول ﷺ في غزوة أحد

المطلب الأول: مفهوم التخطيط لغة واصطلاحا

التخطيط فى اللغة: مصدر الفعل خطط يخطط تخطيطا، والذى يعنى ضمن معانيه اللغوية تحديد معالم الشئ، يقال خطط الرجل الأرض:أى علم عليها علامة[١]

والخطة: الأمر أو الحالة، وفى المثل: (فلان جاء وفى رأسه خطة): أمر قد عزم عليه، وفى الحديث:(إنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها)[٢] أمرا واضحا فى الهدى والاستقامة، وجمعها خطط [٣].

التخطيط فى اصطلاح العلماء هو: (التفكير العميق المتزن والدراسة المستوعبة لكل عمل يريد الإنسان أن يقدم عليه على بصيرة وبينة وإدراك الغاية لأبعاده)[٤].

ويعرف أيضا بأنه: (هو النشاط الذى ينقلك مما أنت عليه الآن إلى ما تطمح بالوصول إليه، إنه يتألف من تحليل وضعك الحالى وتحديد أهدافك وتصميم أعمالك)[٥].

ويقصد بالتخطيط أيضا: (العملية المنظمة التى يتم بها اختيار أحسن الحلول للوصول إلى أهداف معينة)[٦]. وبناء على التعريفات السابقة فإن التخطيط هو التنظيم والترتيب للجهود التى يقوم بها الإنسان من أجل الوصول إلى أهداف معينة، ومن هنا فإن التخطيط للدعوة إلى الله تعالى يعنى:

(تحديد الأهداف المرجوة من وراء العمل الدعوى، والوسائل المتبعة فى ذلك،

---

١. مختار الصحاح ص١٨٠ مادة : حطط ، دار الجيل . بيروت بدون .

٢. رواه البخارى فى ك : الشروط ب : الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط رقم ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ .

٣. المعجم الوسيط ، مادة : خطط ١ / ٢٤٣ .

٤. الدعاة والتخطيط للشيخ / محمد عبد الله الخطيب ص١٣ دار المنار الحديثة . القاهرة ط٢ ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

٥. التخطيط الإدارى ، تأليف : كيت كينان ، ترجمة : محمود الحلبى ص ٧ الدار العربية للعلوم ط١ ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

٦. الدعاة والتخطيط ص٢١ مرجع سابق .

والمراحل المتعددة والتى تؤدى للوصول إلى هذه الأهداف بأكبر كفاءة وأقل تضحية)[1].

ويعرف أيضا بأنه: (الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة والإمكانات والظروف فى تنمية الفرد المسلم فى كل جوانبه، مما يجعله قادرا على أداء دوره فى عمارة الأرض وتحقيق هدف وجوده، وهو عبادة الله تعالى، وفى تنمية الجماعة المسلمة بقطاعاتها المختلفة، ليؤهلها بمجموعها أن تكون محققة غاية وجودها وهدف مسيرتها فى إقامة حكم الله فى الأرض، وتحكيم شريعته فى دنيا الناس)[2]

فالتخطيط للدعوة إلى الله تعالى يعنى: أن يحدد الدعاة إلى الله تعالى أهدافهم، وأن يحددوا الوسائل والأنشطة التى تعينهم على تحقيق هذه الأهداف، مع الترتيب والتنظيم لهذه الأهداف ولتلك الوسائل، مع مراعاة عامل الزمان والمكان والمتابعة الدقيقة لكل خطوات ومراحل الخطة، فالتخطيط للدعوة هو: وضع الخطط والنظم لها، ويقابله الفوضى والارتجالية فيها.

المطلب الثانى
أهمية التخطيط وضرورته للعمل الدعوى

يتصدى الدعاة إلى الله تعالى لتحقيق مهمة عظيمة، وهى تعبيد الناس لله رب العالمين، والتمكين لدين الله فى الأرض، وتحكيم شرعه، وإقامة الخلافة الإسلامية، واسترداد كل شبر اغتصب من الوطن الإسلامى، واكتساب أرض جديدة للإسلام بتبليغ هذا الدين الحق إلى الناس كافة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

فمن الطبيعى أن يسير العمل لتحقيق هذا الهدف العظيم بتخطيط دقيق، ولا يمكن أن يتم ذلك من غير تخطيط سليم يجعل الدعاة إلى الله تعالى يسيرون فى طريق

١. فى التدريب التربوى للأستاذ / مصطفى الطحان ص١٧٠ دار الوثائق . الكويت ط١ ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .
٢. الدعاة والتخطيط ص٢٢ مرجع سابق .

واضح المعالم، محدد الأهداف، معلوم الوسائل

وتتضح أهمية التخطيط وضرورته فى مجال الدعوة إلى الله تعالى من خلال الآتى:

١ ـ التخطيط أساس كل عمل ناجح:

لا يتحقق النجاح فى أى عمل مهما كان صغيرا إلا إذا اعتمدنا الدراسة والتخطيط أساسا لهذا العمل، وبغير التخطيط والتنظيم قد تهدر الطاقات وتضيع الأوقات دون فائدة، وقد تستطيع القلة المنظمة أن تنجز من الأمور ما تعجز عنه الكثرة التى لم تعتمد على التخطيط والتنظيم.

(فإن مشروع إنشاء بيت، أو زراعة بستان، أو إقامة مدرسة أو مستشفى، أو ما شابه ذلك من أعمال بسيطة يحتاج إلى تنظيم وتخطيط من وضع للخرائط، وتوفير الدعم المادى، وتحديد مسئوليات، واختيار منفذين ومشرفين وتسوق مواد، الخ .. ليتم هذا العمل على أفضل صورة وفى وقت مناسب، بتكاليف مناسبة)[١]

حتى النشاط اليومى للفرد، فلا يستطيع الفرد أن ينجز مهامه اليومية على أكمل وجه إلا إذا أجاد التخطيط والتنظيم لهذه المهام.

فإذا كانت هذه الأعمال البسيطة لا يكتب لها النجاح والسداد إلا إذا كان التخطيط والتنظيم أساسا لها، أفلا يحتاج الدعاة إلى الله تعالى الذين يسعون لتحقيق الأهداف الكبيرة، والأمانى العظيمة، إلى الدراسة والتخطيط والتنظيم؟ لكى يسيروا فى طريقهم على بينة وبصيرة، فإذا بالنجاح يتحقق على أيديهم، فتتحول الأحلام إلى حقائق، ويصبح البعيد قريبا، والصعب سهلا بإذن الله تعالى.

٢ ـ الإعانة على مقاومة التحديات والمعوقات التى تواجه الدعوة

١ـ أبجديات التصور الحركى للعمل الإسلامى أ / فتحى يكن ص١٤ بتصرف ، مؤسسة الرسالة ط٤ ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

والدعاة:

مما لا شك فيه أن طريق الدعوة إلى الله تعالى ليست مفروشة بالورود والرياحين، بل هى طريق مملوءة بالأشواك والعقبات، والتحديات المحلية والعالمية، الداخلية والخارجية.

٣ ـ ضرورة التغيير تقتضى ضرورة التخطيط:

الناظر إلى حال البشرية . عامة . يجد أنها تعانى حالة من البؤس والضياع، والسبب فى هذا البؤس وذلك الضياع هو اتباع مناهج الشيطان، وهوى النفس، والبعد عن منهج الله، وصدق ربنا سبحانه: ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ [١]

والناظر لحال الأمة الإسلامية . خاصة . يجد أنها اتبعت أذناب البشر من أهل الغرب وغيرهم، وسارت وراءهم منحية منهج الله . تعالى . جانبا، مقتصرة به على المساجد شعائر لا روح فيها . ويا ليتها تحسنها . واتبعت حضارة الغرب المزعومة بكل مفرداتها، حلوها ومرها، خيرها وشرها، فحدث لها ما حدث من تخبط وضياع فى بحار الظلمات، فلا هى اتبعت منهج ربها، ولا هى أخذت بأسباب الدنيا وتقدمت.

ولقد عبر الشهيد سيد قطب (رحمه الله) عن هذا الحال قائلا: (والعاقل الواعى الذى لم يأخذه الدوار الذى يأخذ البشرية اليوم حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة يراها تتخبط فى تصوراتها، وأنظمتها، وأوضاعها، وتقاليدها، وعاداتها، وحركاتها كلها تخبطا منكرا شنيعا، يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهووس، وتتشنج فى حركاتها وتتلبط [٢] كالممسوس، يراها تصرخ من الألم، وتجرى كالمطارد، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكير، وتبحث عن لا شئ، وتجرى وراء أخيلة، وتقذف أثمن ما تملك، وتحتضن

١. سورة طه الآيتان ١٢٣ ، ١٢٤ .

٢. تلبط فى أمره : تحيّر (المعجم الوجيز ص٥٥٠) .

بأقذر ما تمسك به يداها من أحجار وأوضار [1]. لعنة. لعنة كالتى تتحدث عنها الأساطير، وحول هذه البشرية زمرة من المستنفعين بهذه الحيرة الطاغية وهذا الشرود القاتل، زمرة من المرابين، ومنتجى السينما، وصانعى الأزياء، والصحفيين، والكتاب يتفون لها بالمزيد من الصراع والتخبط والدوار . كلما تعبت وكلت خطاها . زمرة تهتف لها: التطور، الانطلاق، التجديد، بلا ضوابط ولا حدود، إنها الجريمة المنكرة فى حق البشرية كلها وفى حق هذا الجيل المنكود)[2].

أفلا يحتاج هذا الحال المرير إلى تغيير؟؟!!!

هذه المهمة الصعبة التى يتصدى لها الدعاة . بعون الله لهم . لن تتم إلا إذا كانت الدراسة والتخطيط والتنظيم أساسا يعتمد عليه من يريدون الإصلاح والتغيير.

٤ ـ الأهداف العظيمة للدعاة تقتضى ضرورة التخطيط والتنظيم:

يسير الدعاة المخلصون فى طريقهم على بينة وبصيرة، قد حددوا أهدافهم، ورسموا آمالهم، ووضعوا من الوسائل ما يعينهم على تحقيق آمالهم والوصول إلى أهدافهم.

فهم يريدون أولا الفرد المسلم فى تفكيره وعقيدته، وفى أخلاقه وعبادته، وفى عمله وتصرفه، وفى كل مجالات الحياة.

وهم يردون بعد ذلك الأسرة المسلمة التى تتكون من زوجين صالحين وأبوين كريمين، فتنشأ الذرية فى جو من الإيمان والتقوى فتتربى على تعاليم الإسلام وقيمه وأخلاقه.

وهم يريدون المجتمع المسلم الذى يؤمن أفراده بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ، يريدون مجتمعا صالحا قويا، عفيفا، طاهرا، ينعم أهله بالمحبة والمودة والود والتكافل والتعاون، مجتمعا يتصف أفراده بالصدق، والأمانة، والإخلاص، والوفاء

١. أوضار : الوضر : الوسخ فى الدسم أو غيره وجمعها : أوضار (السابق ص٦٧٣) .
٢. خصائص التصور الإسلامى ص١٠٩ .

وسائر أخلاق الإسلام، مجتمعا يتعاون أهله من أجل نصرة الحق ورفع راية الإسلام.

(إنهم يريدون تغيير سمات المجتمع وتحويله كلية إلى مجتمع إسلامي يتحلى بجميع صفات المجتمع المسلم، ويكون ذلك بتجنيد وسائل التربية والإعلام والدعوة، وانضباط المعاملات، وتعمير بيوت الله، وإقامة أركان الإسلام وحدوده)[1] .

كما يهدف الدعاة إلى الله تعالى إلى إيجاد (الحكومة المسلمة التى تقود هذا الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام)[2].

كما يسعى الدعاة إلى إزالة الهموم ومعالجة الأمراض والعلل والداءات التى أصابت أمتنا الإسلامية، ولا يكتفى الدعاة بالخروج بالأمة من أزمتها فحسب، بل يسعون بكل ما أوتوا من قوة . مستعينين بالله تعالى . من أجل أن تعود راية الإسلام عالية خفاقة، فتعود الخلافة الإسلامية، وينعم المسلمون بالعيش تحت رايتها من جديد، ثم هم يردون بعد ذلك أن يعلنوا دعوتهم على العالم، وأن يبلغوها للناس جميعا، وأن يعموا بها آفاق الأرض ويخضعوا لها كل جبار، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.[3]

ومن الطبيعى أن يسير العمل لتحقيق هذه الأهداف العظيمة بتخطيط دقيق، وألا يكون ارتجاليا أو ردود أفعال، فيقسم الهدف الكبير إلى أهداف مرحلية، وتوضع الخطة المناسبة لكل منها، والوسائل اللازمة، مع متابعة التنفيذ والتقويم وهكذا..

ومما سبق يتبين لنا أهمية التخطيط وضرورته للدعوة إلى الله تعالى.

وللتخطيط للدعوة فوائد عظيمة وآثار جليلة منها:

أولا: فوائد تعود على الدعاة:

١. يساعد التخطيط في اختيار طرق الدعوة المناسبة والملائمة لكل داعية بحسب

---

١. سمات المجتمع المسلم أ / محب المحجرى ص٧ ، ٨ دار التوزيع والنشر الإسلامية ، بدون .

٢. مجموعة الرسائل للإمام الشهيد / حسن البنا ص١٧٧ دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

٣. انظر : مجموعة الرسائل للأستاذ البنا ص١٧٧ ، ١٧٨ مرجع سابق .

قدراته وإمكاناته والمتوافقة مع طبيعة البرنامج والأهداف المرسومة له.

٢- يُحدث التخطيط كثيرًا من الانسجام والتناسق بين أعمال الداعية، مما يمنع الازدواجية والتضارب في أعماله وبرامجه، فلا تضيع بفعل ذلك كثير من الجهود والأوقات التي يمكن استغلالها لتنفيذ برامج أخرى.

٣ . يفيد التخطيط في تحديد مواعيد زمنية تضبط بدء الأنشطة وانتهاءها، وهذا يجعل الداعية قادرًا على تقويم أعماله ومدى التزامه بالمدة الزمنية المحددة لتنفيذها، وكذلك في حسن التوقيت لإقامة البرامج ومنع التضارب مع أنشطة أخرى.

٤ . يفيد التخطيط في التنسيق بين العاملين أو الجهات الدعوية في الساحة الدعوية بأشكال مختلفة.

ثانيا: فوائد تعود على المدعوين:

١ . يفيد التخطيط فى الوقوف على أحوال المدعوين ومعرفة مشاكلهم الحقيقية وتقديم الحلول المناسبة لها.

٢ . يساعد التخطيط فى التعرف على طبيعة البيئة التى يمارس فيها الداعية دعوته، كما يفيده فى التعرف على نوعية المخاطبين بالدعوة وتقديم الخطاب المناسب لهم.

٣ . يفيد التخطيط فى تربية المدعوين فى كل المجالات (روحيا، عقليا، خلقيا، بدنيا....).

٤ . يفيد التخطيط فى استيعاب كل المدعوين، وذلك لأن(من حقوق المدعوين على الدعاة أن يقصدوا ويدعوا، وأن لا تكون الدعوة لهم عرضا أو مصادفة.. كما أن من حقوقهم: أن يحرص عليهم جميعا ولا يستهان بواحد منهم)[1] ومما لا شك فيه أن التخطيط يساعد فى أداء هذه الحقوق للمدعوين.

---

١. المدخل إلى علم الدعوة د / محمد أبو الفتح البيانونى ص١٧٠ مؤسسة الرسالة ط٣ ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

ثالثا: فوائد تعود على الدعوة ذاتها:

١ ـ أن التخطيط يحدد أهداف الدعاة وغايات البرامج والمشروعات الدعوية، كما يفيد في حسن الأداء أثناء التنفيذ والتقويم الدقيق بعد ذلك.

٢ ـ يسهم التخطيط في ترتيب الأولويات لدى العاملين والقائمين على البرنامج الدعوي.

٣ ـ كما أن دراسة الظروف المحيطة والإمكانات المتوفرة وحصرها يساعد كثيرا عند وضع الخطة بحيث تكون واقعية عملية، وليست نظرية خيالية بعيدة عن الواقع يصعب تنفيذها.

٤ ـ يجعل من السهل التوقع لمعوقات البرنامج الدعوي التي قد يفاجأ بها الداعية أثناء أو قبل تنفيذ البرنامج.

٥ ـ يعمل التخطيط على توفير كثير من النفقات المالية والجهود البشرية التي توضع في غير موضعها بسبب ضعف التخطيط أو انعدامه، مما يساعد على استثمار هذه الجهود والنفقات لإقامة برامج دعوية أخرى.

٦ ـ يفيد التخطيط في التجديد في الأساليب والوسائل الدعوية، وفي البعد عن الرتابة.

* * *

المطلب الثالث:
تخطيط الرسول ﷺ في غزوة أحد

وفي الصفحات التالية نستعرض مظاهر تخطيط النبي ﷺ من خلال أحداث غزوة أحد

أولا: جمع المعلومات الكاملة عن جيش قريش:

فقد كان النبي ﷺ يتابع أخبار قريش بدقة بالغة، وكان حريصا على جمع المعلومات عن استعدادات قريش وتحركها، ومن ذلك:

١ . متابعة أخبار قريش بدقة بواسطة عمه العباس، قال ابن عبد البر: (وكان – رضي الله عنه – يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون يتقوون به بمكة. وكان يحب أن يقدم على رسول الله فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن مقامك في مكة خير)[١].

كانت المعلومات التي قدمها العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم دقيقة فقد جاء في رسالته: (أن قريشًا قد أجمعت المسير إليك، فما كنت صانعًا إذا حلوا بك فاصنعه، وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير، وأوعبوا من السلاح)[٢].

(فقد احتوت هذه الرسالة على أمور مهمة منها:

١ – معلومات مؤكدة عن تحرك قوات المشركين نحو المدينة.

٢ – حجم الجيش وقدراته القتالية، وهذا يعين على وضع خطة تواجه هذه القوات الزاحفة.)[٣]

---

١ . انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨١٢).

٢ . المغازي للواقدي ج١ ص ٢٠٤ دار الأعلمي . بيروت ط ٣ ١٩٨٩م = ١٤٠٩هـ

٣ . السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث) للدكتور / علي محمد الصلابي ٢ / ١٠٤ ، دار التوزيع والنشر

لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بمعلومات المخابرات المكية، بل حرص على أن تكون معلوماته عن هذا العدو متجددة مع تلاحق الزمن..

١ . ولذلك أرسل صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر بن الجموح إلى قريش يستطلع الخبر، فدخل بين جيش مكة وحزر عَدَده وعُدَده ورجع، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت؟» قال: رأيت أي رسول الله عددًا، حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعًا ظاهرة حزرتها سبعمائة درع، قال: «هل رأيت ظعنًا؟» قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أردن أن يحرضن القوم ويذكرونهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم لا تذكر من شأنهم حرفًا، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول»[1].

٢ . كما أرسل صلى الله عليه وسلم أنسًا ومؤنسًا ابني فضالة يتنصتان أخبار قريش، فألفياها قد قاربت المدينة، وأرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، وعادا فأخبراه بخبر القوم.[2]

ثانيا: اختيار وقت التحرك والطريق التي تناسب الخطة:

من الأسباب المهمة التي اتخذها صلى الله عليه وسلم لملاقاة أعدائه اختياره لوقت التحرك والطريق التي تناسب خطته، فقد تحرك بعد منتصف الليل، حيث يكون الجو هادئًا، والحركة قليلة، وفي هذا الوقت بالذات يكون الأعداء، غالبا، في نوم عميق لأن الإعياء ومشقة السفر قد أخذا منهم مجهودًا كبيرًا.

ومن المعروف أن من نام بعد تعب يكون ثقيل النوم، فلا يشعر بالأصوات العالية

الإسلامية ط٢ ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م

. انظر: مغازي الواقدي (١/ ٢٠٧، ٢٠٨).١

٢. انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ١٨٧).

والحركة الثقيلة، قال الواقدي رحمه الله: ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدلج، فلما كان في السحر قال: «أين الأدلاء؟»، ثم إنه صلى الله عليه وسلم اختار الطريق المناسب الذي يسلكه حتى يصل إلى أرض المعركة، وذكر صفة ينبغي أن تتوافر في هذا الطريق وهي السرية، حتى لا يرى الأعداء جيش المسلمين، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «من رجل يخرج بنا على القوم من طريق لا يمر بنا عليهم؟» فأبدى أبو خيثمة – رضي الله عنه – استعداده قائلا: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم، حتى سلك به في مال لربعي بن قيظي، وفي رواية ابن هشام: لمربع بن قيظي وكان رجلاً منافقًا ضرير البصر، فلما أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين، قام يحثو في وجوههم التراب، وهو يقول: إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي، وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب بيده، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد، لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال لهم: لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني الأشهل قبل نهي رسول الله عنه، فضربه بالقوس في رأسه فشجه)[1]

ولا شك في أن مروره صلى الله عليه وسلم بين الأشجار والبساتين يدلنا على حرصه صلى الله عليه وسلم على الأخذ بالاحتياطات الأمنية المناسبة في أثناء السير؛ لأن الطرق العامة تكشف للأعداء على مقدار قوات المسلمين، وهذا أمر محذور، فالرسول صلى الله عليه وسلم علم الأمة الأخذ بالسرية من حيث المكان، ومن حيث الزمان، لئلا يستطيع الأعداء معرفة قواتهم فيضعوا الخطط المناسبة لمجابهتها، وبذلك يذهب تنظيم القادة وإعدادهم لجيوشهم في مهب الرياح.

ثالثا: اختيار الموقع المناسب:

١ . السيرة النبوية لابن هشام (٢ /٦٥) مطبعة مصطفى البابى الحلبي ط٢ ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م .

أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية جبل أُحُد لحماية جيش المسلمين، فعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أحد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ظهورهم إلى الجبل ووجوههم إلى المدينة، وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير. ووضعهم فوق جبل عينين المقابل لجبل أحد، وذلك يمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين، وأصدر أوامره إليهم قائلا: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»[1].

وأصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أوامره للجيش قائلا: لا تبرحوا حتى أؤذنكم، وقال: لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال. وقال لأمير الرماة: «انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا»، وقال للرماة: «الزموا مكانكم لا تبرحوا منه، فإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل، إنا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم»[2].

سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أُحدًا وظهره إلى المدينة، وأصبحت مهمة الرماة في النقاط التالية: احتلال الموقع، حماية المسلمين من الخلف، صد الخيل عن المسلمين.

رابعا: تقسيم الجيش إلى ثلاث كتائب:

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم خطة محكمة لمواجهة المشركين من قريش، حيث اختار الموقع المناسب، وانتخب من يصلح للقتال، ورد من لم يكن صالحًا، واختار خمسين منهم للرماية، وشدد الوصية عليهم، وقام بتقسيم الجيش إلى ثلاث

١ . صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد، رقم ٤٠٤٣.

٢ . السيرة الحلبية (٢/ ٣٠٣) دار الكتب العلمية . بيروت ط٢ ١٤٢٧هـ .

كتائب، وأعطى اللواء لأحد أفراد الكتيبة، وهذه الكتائب هي:

١ – كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير – رضي الله عنه –.

٢ – كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن حضير – رضي الله عنه –.

٣ – كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر – رضي الله عنه –

خامسا: تسوية الصفوف وتنظيم الجيش:

تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصفهم على هيئة صفوف الصلاة، (وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على رجليه يسوي تلك الصفوف، ويبوئ أصحابه للقتال يقول: تقدم يا فلان، وتأخر يا فلان، فهو يقومهم...، حتى استوت الصفوف)[١]. فوضع صلى الله عليه وسلم في مقدمة الصفوف الأشداء، لكي يفتحوا الطريق لمن خلفهم، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب؛ لأنه أبلغ في قتال الأعداء [٢].

سادسا: عدم القتال إلا بأمر من القائد: قال الطبري: فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: «لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال»[٣]. وفي هذا التوجيه فائدة مهمة وهي توحيد القيادة والمسئولية؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أدرى بالمصلحة.

---

١ . المغازي للواقدي ١ / ٢١٩ مرجع سابق .

٢ . القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ص١٥٣ دار القلم . دمشق ط١ ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

٣ . السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٥ مرجع سابق .

المبحث الثاني
صفات الدعاة من خلال أحداث غزوة أحد

١ . العزيمة وعدم التردد

٢ . البذل والتضحية

٣ . الرفق بالمدعوين وعدم تيئيسهم

٤ . العزة والإباء وعدم الوهن والضعف

٥ . صفات أخرى (العفو . الاستغفار . الاستعانة بالله واللجوء إليه . الشورى . الاستفادة من الأخطاء . القلب الكبير)

الصفة الأولى: العزيمة وعدم التردد:

ويظهر ذلك في موقف النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما ندم الناس على رأيهم بالخروج لملاقاة العدو خارج المدينة، وظنوا أنهم قد أكرهوا نبيهم –صلى الله عليه وسلم– على ما لا يحب، فقال –صلى الله عليه وسلم– قولته المشهورة" :لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن ينزعها حتى يقاتل عدوه[1]."

فعلى مثل هذا يجب أن يربى الدعاة إلى الله تعالى؛ إذ ينبغي أن يتصفوا بالعزم والقوة والمضي، لا التراجع والتشكك والتردد، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– عندما رجعوا عن رأيهم، لم يرجع عن رأيه، وإلا كانت هذه صورة من صور القيادة المهزوزة التي تكون ألعوبة في أيدي الذين يترددون بعد أن تقدموا، أو من يقولون: نعم، ثم يقولون: لا... وهكذا.

ولذلك كان هذا الموقف من النبي –صلى الله عليه وسلم– أولاً: إمضاءً للشورى، وثانيًا: حفظًا لهيبة القيادة؛ فإن الأمر لو أن النبي –صلى الله عليه وسلم– رجع عن ذلك لظن الظان أن ذلك نوع من الجبن والخوف، ولسرى بين الناس أن النبي القائد –صلى الله عليه وسلم– قد خضع لقول جنوده، وعندما تكون القيادة مقودة لا قائدة؛ فإن ذلك هو عين الفوضى والاضطراب، وثالثًا: فإنه لو ولى لم ينتظم لهم شمل، فإذا ثبت انتظم شملهم بوجوده –صلى الله عليه وسلم– كما حدث يوم حنين، فإن غالب الصحابة ولوا مدبرين عن ملاقاة العدو، وثبت مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عشرة من أصحابه، فتقدم في وجه العدو، حتى نصره الله تعالى، وتراجع إليه أصحابه.

وهذا درس عظيم مفاده أن يعلم المرء أن أمر اتخاذ الموقف والحزم والجزم هو سمة من السمات القيادية والسمات الإيمانية التي تنطلق من قاعدة شرعية، يتجلى

---

١ . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٠ / ٣٩٩ دار الكتب العلمية . بيروت ط١ ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

ذلك في رفض النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما رفض أن يعود عن الشورى بعد العزم، واعتبار هذا من قبيل التردد والأرجحة، وذلك صيانة لمبدأ الشورى من أن يصبح المؤمنون وسيلة للأرجحة والتردد وعدم الثبات.

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة. .فإنّ فساد الرأي أن تترددا

من أضرار صفة التردد:

١ . عدم القدرة على اتخاذ قرار لأنه متردد جدا وقد تسبب له مشاكل نفسيه وضغوط عليها بعدم الرضا

٢ . قلة وجود الرضا عند الشخص عن نفسه وعن قراراته والمحيطين وكل شيء.

٣ . قلة استغلال قدراته ومهارته وإبداعاته من خلال التردد

٤ . ينتج على هذه الصفة على الشخص المتردد صفة الاعتمادية على الآخرين بشكل أكثر من اللازم.

٥ . الاعتمادية على من حوله مما يسبب لهم الكثير من المتاعب

٦ . التسبب في كثير من المشاكل بسبب عدم القدرة على اتخاذ القرار المناسب من نفسه في الوقت المناسب.

الصفة الثانية: البذل والتضحية

هذه بعض الصور المشرقة التي رسم فيها الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) معاني الصدق مع الله – تعالى –، والتضحية في سبيل إعلاء كلمته من خلال أحداث غزوة أحد.

الصورة الأولى: عبدالله بن جحش – رضي الله عنه –:

عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تأتي فندعوا الله، فجلسوا في ناحيةٍ، فدعا سعد وقال: يا رب إذا لقيت العدو غداً فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده؛ أقاتله فيك ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الظفر

حتى أقتله، وآخذ سلبه، فأمَّن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده؛ أقاتله فيك ويقاتلني؛ فيقتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك قلت: يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت، قال سعد: كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار؛ وإن أذنه وأنفه معلقان جميعاً في خيطٍ، قال الواقدي: دفن هو وحمزة في قبر واحد"[1].

الصورة الثانية: أنس بن النضر – رضي الله عنه –:

يروي قصته البخاري في صحيحه عن أنس – رضي الله عنه – قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر؛ فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين؛ ليرين الله ما أصنع؟ فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه –، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين –، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة وربِّ النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنةً برمح، أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مَثَّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنانه[2]، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين {رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ..}، هذا هو أنس بن النضر الذي صدق ما عاهد الله عليه وما بدل وما غير، بل بحبه لله – تعالى – صدق معه، وبحب الله – تعالى – له أبرَّ قسمه عليه!

ولم يكن أنس بن النضر – رضي الله عنه – مجرد مقاتل عادي، بل كان يحمس

---

١ . السنن الكبرى للبيهقي » كِتَابُ الْوَصَايَا » بَابُ لا ضَمَانَ عَلَى مُؤْتَمَنٍ حديث رقم ١١٨٣٣

٢ . صحيح البخاري » كتاب الجهاد والسير » باب قول الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا حديث رقم 2651

الصحابة، ويفعِّل المعركة، ويثير المقاتلين كلما شعر ببرود، وهذا ما حصل في أحد، فعندما أشيع بين الصحابة مقتل النبي – صلى الله عليه وسلم – تثاقل البعض، وبدأ اليأس يدب في الأعماق، والهزيمة تنشر خيوطها؛ فإذا بأنس بن النضر – رضي الله عنه – يعالج القضية علاجاً عملياً ليس بالكلام فقط، ويبدى حلاً وهو الاستمرار على القتال، وعدم الاستسلام، بل إن كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد مات فلنمت على ما مات عليه، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ أَخُو بَنِي عدىّ بن لنجّار، قَالَ: انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ (قُومُوا) [١] فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَبَهْ سُمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنَسِ بْنِ النَّضْرِ يَوْمئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً، فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أُخْتُهُ، عَرَفَتْهُ بِبَنَانِهِ.)[1]

الصورة الثالثة: طلحة بن عبيد الله التيمي – رضي الله عنه –:

يشهد النبي – صلى الله عليه وسلم – على تفاني طلحة – رضي الله عنه – وهو في وسط المعركة، والناس بين الدماء والأشلاء، والنبي – صلى الله عليه وسلم – ينادي: أوجب طلحة، فقد ورد في حديث عن الزبير – رضي الله عنه – قال: كان على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد درعان، فنهض إلى صخرة فلم يستطع؛ فأقعد تحته طلحة، فصعد النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى استوى على الصخرة، فسمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: (أوجب طلحة)[2] أي وجبت

١ . سيرة ابن هشام ٢ / ٨٣

٢ . السابق ٢ / ٨٦

الجنة لطلحة، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (طلحة ممن قضى نحبه)[1]، وهذا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – لا يذكر غزوة أحد إلا ويذكر فضل طلحة فيه، ويسقط دمعات شاهدة على ما يقول، فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان أبو بكر – رضي الله عنه – إذا ذكر يوم أحدٍ بكى، ثم قال: ذاك كله لطلحة"[4]، فيا ترى ما الذي صنع طلحة حتى يذكر بهذا الذكر؟

اسمع ما يقوله جابر بن عبد الله – رضي الله عنه –: "لما كان يوم أحدٍ، وولى الناس؛ كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ناحيةٍ في اثني عشر رجلاً من الأنصار، وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركهم المشركون، فالتفت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وقال: (من للقوم؟)، فقال طلحة: أنا، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (كما أنت)، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فقال: (أنت)، فقاتل حتى قتل، ثم التفت؛ فإذا المشركون فقال: (من للقوم؟)، فقال طلحة: أنا، قال: (كما أنت)، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقال: (أنت)، فقاتل حتى قتل، ثم لم يزل يقول ذلك، ويخرج إليهم رجلٌ من الأنصار فيقاتل قتال من قبله حتى يقتل، حتى بقي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (من للقوم؟)، فقال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه، فقال: حس، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (لو قلت: بسم الله؛ لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون، ثم رد الله المشركين)[2].

الصورة الرابعة: حنظلة بن أبي عامر الراهب – رضي الله عنه – (غسيل الملائكة):

---

١ . مغازي الواقدي ١ / ٢٥٥ دار الأعلمي . بيروت ط٣ ١٩٨٩ = ١٤٠٩هـ

٢ . سنن النسائي ب : ما يقول من يطعنه العدو ٦ / ٢٩ حديث رقم ٣١٤٩ ، مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب ط٢ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

إنه الرجل الذي ترك محابه من أجل محاب الله – عز وجل –، ويصنع هذا من وجد حلاوة الإيمان (ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)[1]، إن حنظلة – رضي الله عنه – كان قد ترك زوجته بعد أول ليلة يلقاها فيها، و"كان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول، فأدخلت عليه في الليلة التي في صبحها قتال أحدٍ، وكان قد استأذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يبيت عندها فأذن له؛ فلما صلى الصبح غدا يريد النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولزمته جميلة، فعاد فكان معها، فأجنب منها، ثم أراد الخروج وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها؛ فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقيل لها بعد: لم أشهدت عليه؟ قالت: رأيت كأن السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة، فأشهدت عليه أنه قد دخل، وتعلق بعبد الله بن حنظلة"[2].

وانطلق حنظلة إلى أرض المعركة وهو جنب؛ لم يغتسل بعد، فدخل في وسط المعمعة، وكاد أن يقتل القائد الأعلى لجيش العدو "أبا سفيان" لولا أن أحد المشركين أعان أبا سفيان فخلصه من حنظلة وقتل حنظلة.

استشهد وهو جنب، فماذا كانت نتيجة هذا العمل العظيم، الذي ضحى بكل شيء من أجل "لا إله إلا الله"، لقد حاز على شرف تغسيل الملائكة له، وقد رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – الملائكة وهي تغسله فقال: (إن صاحبكم تغسله الملائكة، فسألوا صاحبته)، فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (لذلك غسلته الملائكة)[3]، وسمي بسبب هذا بـ"غسيل الملائكة".

وليست هذه كل الصور التي نقلت إلينا من قبل الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه،

---

١ . صحيح البخاري ب : حلاوة الإيمان ١ / ١٢ حديث رقم ١٦ دار طوف النجاة ط١ ١٤٢٢هـ .

٢ . مغازي الواقدي ١ / ٢٧٣

٣ . سيرة ابن اسحاق ١ / ٣٣٣ دار الفكر . بيروت ط١ ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

وليس هذه فقط هي السطور التي خطها لنا الصحابة الكرام بدمائهم، ولكن أحببنا أن نعيش مع شيء من ذلك، وإلا فالكثير من الصحابة لم تذكر أسماؤهم، ولم تسجل أعمالهم، لكنها سجلت عند رب العالمين، في سجلات الصادقين.

* * *

الصفة الثالثة: الرفق واللين

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [1].

فقد ذكرت الآية الكريمة طرفا من الصفات الواجب على الدعاة إلى الله تعالى الاتصاف بها، ومن هذه الصفات صفة الرحمة والرفق واللين ذلك أن الدعاة إلى الله تعالى يسعون إلى جذب القلوب، وتحبيب النفوس في التمسك بهذا الدين والارتباط به، ولا طريق أقرب في مخاطبة النفوس من الرفق واللين، فهما عامل أساسي في جذب النفوس وامتلاك القلوب.

عَنْ جَرِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ»[2]

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ» إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ "[3]

ومن معاني الرفق والرحمة واللين في حياة الداعية: عدم تيئيس المدعوين وتقنيطهم من رحمة الله على كثرة ذنوبهم وخطاياهم.

يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى.

قال: من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمِّنْهم من

---

١ . سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

٢. مسلم ب فضل الرفق حديث (٢٥٩٢) ٤ / ٢٠٠٣ دار إحياء التراث العربي ت بيروت .

٣ . مسلم ب فضل الرفق حديث (٢٥٩٢) ٤ / ٢٠٠٣

مكر الله... "[1]

والمتأمل في أحداث غزوة أحد يجد هذا الأمر واضحا جليا، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) رحيما بالمخطئين من أصحابه، رفيقا بهم، لينا معهم على عظيم خطأهم وما ترتب عليه من جراح وآلام.

أولا: الرماة:

فقد خالف الرماة أمر النبي (صلى الله عليه وسلم)، ووقعوا في المعصية، وترتب على هذا الخطأ الجسيم، وهذه المعصية البينة الكثير من الكوارث ومع ذلك نزل القرآن الكريم ممتنا عليهم بعفو الله ورحمته قال تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إذا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[2]

وهكذا تعامل النبي (صلى الله عليه وسلم) معهم، فلم يطردهم خارج الصف، ولم يوبخهم (ولم يقل لهم إنكم لا تصلحون لشيء من هذا الأمر بعدما بدا منكم في التجربة من النقص والضعف، بل قبل ضعفهم هذا في رحمة وعفو وفي سماحة،... وهناك أمر مهم يتصل بهذا العفو قد يترك أثرًا في نفوسهم يعوقها بعض الشيء، ذلك هو موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حدث منهم، إنهم يشعرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو وحده الذي تحمل نتيجة تلك الأخطاء فلا بد أن ينالوا منه عفوًا تطيب به نفوسهم، وتتم به نعمة الله عليهم، لهذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعفو عنهم وحثه على الاستغفار لهم، كما أمره أن يأخذ رأيهم والاستماع إلى مشورتهم، ولا يجعل ما حدث صارفًا له عن الاستفادة من خبراتهم

١ . جامع بيان العلم وفضله ، جـ٢ ص٥٥ .

٢ . [آل عمران: ١٥٢]

ومشورتهم، قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: ١٥٩].)[1]

ثانيا:الذين تولوا يوم التقى الجمعان:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[2]

وتتوالى صور العفو واللين والرفق والرحمة بالمخطئين المقصرين، فلم يكن الرماة وحدهم من وقعوا في الخطأ والمعصية، بل كان هناك من جلس وقعد عن الجهاد عندما أشيع خبر مقتل النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكان هناك من فر وتولى.

يقول المباركفوري (أما المسلمون فلما وقعوا في التطويق طار صواب طائفة منهم، فلم تكن تهمها إلا أنفسها، فقد أخذت طريق الفرار، وتركت ساحة القتال، وهي لا تدري ماذا وراءها؟ وفر من هذه الطائفة بعضهم إلى المدينة حتى دخلها، وانطلق بعضهم إلى فوق الجبل، ورجعت طائفة أخرى فاختلطت بالمشركين، والتبس العسكران، فلم يتميزوا، فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض. روى البخاري عن عائشة قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: أي عباد الله أخراكم- أي احترزوا من ورائكم- فرجعت أولاهم، فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة، فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أبي أبي. قالت: فو الله ما احتجزوا عنه حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، قال عروة: فو الله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله.

وهذه الطائفة حدث داخل صفوفها ارتباك شديد، وعمتها الفوضى، وتاه منها

---

١ . السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث) د / علي محمد الصلابي ٢ / ١٦٤ ، ١٦٥ دار التوزيع والنشر الإسلامي ط٢ ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م

٢ . سورة آل عمران الآية ١٥٥ .

الكثيرون، لا يدرون أين يتوجهون، وبينما هم كذلك إذ سمعوا صائحا يصيح: إن محمدا قد قتل. فطارت بقية صوابهم، وانهارت الروح المعنوية، أو كادت تنهار في نفوس كثير من أفرادها، فتوقف من توقف منهم عن القتال، وألقى بأسلحته مستكينا، وفكر آخرون في الاتصال بعبد الله بن أبيّ- رأس المنافقين- ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان...)[1]

(قَالَ الْأُمَوِيُّ فِي مَغَازِيهِ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْهُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْمُنَقَّى دُونَ الْأَعْوَصِ، وَفَرَّ عُثْمَانُ بن عَفَّان وَسعد بن عُثْمَان رجل مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى بَلَغُوا الْجَلَعْبَ، جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ مِمَّا يَلِي الْأَعْوَصِ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا ثُمَّ رَجَعُوا، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ: لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً.)[2]

ومع كل هذا فقد نزل فيهم قول الله تعال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[3]

وفي هذا كله تربية للدعاة إلى الله تعالى على كيفية التعامل مع المخطئين والمقصرين، فعلى الدعاة ألا يستعظموا الأخطاء والذنوب التي تقع من المدعوين فيكون ذلك سببا في إبعادهم وإقصائهم، بل يجب عليهم اتباع المنهج الرباني، والهدي النبوي في التعامل مع النفوس البشرية، ومعرفة جوانب ضعفها، وتقديم الدواء المناسب الذي يستأصل الداء بإذن الله تعالى.

---

١ . الرحيق المختوم ٢٥٠ ، ٢٥١ دار السلام . الرياض ط١ ١٤١٨هـ

٢ . البداية والنهاية لابن كثير) ٣ / ٥٤ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦ م .

٣ . سورة آل عمران الآية ١٥٥

إن النفس البشرية ليست كاملة- في واقعها- ولكنها في الوقت ذاته قابلة للنمو والارتقاء، حتى تبلغ أقصى الكمال المقدر لها في هذه الأرض.

على الدعاة أن يعلموا أن المعصية قد وقعت في خير جيل، (فقد كان فيهم الضعف وفيهم النقص، وفيهم من يبلغ أن يقول الله عنهم: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ». ومن يبلغ أن يقول الله عنهم: «حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ».. وفيهم من يقول الله عنهم: «إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا، وَاللَّهُ وَلِيُّهُما، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»

.. وفيهم من ينهزم وينكشف، وتبلغ منهم الهزيمة ما وصفه الله سبحانه بقوله: «إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ. فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ»..

وكل هؤلاء مؤمنون مسلمون ولكنهم كانوا في أوائل الطريق. كانوا في دور التربية والتكوين. ولكنهم كانوا جادين في أخذ هذا الأمر، مسلمين أمرهم لله، مرتضين قيادته، ومستسلمين لمنهجه. ومن ثم لم يطردهم الله من كنفه، بل رحمهم وعفا عنهم وأمر نبيه- صلى الله عليه وسلم- أن يعفو عنهم، ويستغفر لهم، وأمره أن يشاورهم في الأمر، بعد كل ما وقع منهم، وبعد كل ما وقع من جراء المشورة! نعم إنه- سبحانه- تركهم يذوقون عاقبة تصرفاتهم تلك، وابتلاهم ذلك الابتلاء الشاق المرير.. ولكنه لم يطردهم خارج الصف، ولم يقل لهم: إنكم لا تصلحون لشيء من هذا الأمر، بعد ما بدا منكم في التجربة من النقص والضعف.. لقد قبل ضعفهم هذا ونقصهم، ورباهم بالابتلاء، ثم رباهم بالتعقيب على الابتلاء، والتوجيه إلى ما فيه من عبر وعظات. في رحمة وفي عفو وفي سماحة كما يربت الكبير على الصغار وهم يكتوون بالنار، ليعرفوا ويدركوا وينضجوا. وكشف لهم ضعفهم، ومخبآت نفوسهم، لا يفضحهم بها،

ويرذلهم، ويحقرهم، ولا ليرهقهم ويحملهم ما لا يطيقون له حملاً. ولكن ليأخذ بأيديهم، ويوحي إليهم أن يثقوا بأنفسهم ولا يحتقروها ولا ييأسوا من الوصول ما داموا موصولين بحبل الله المتين.

ثم وصلوا.. وصلوا في النهاية، وغلبت فيهم النماذج التي كانت في أول المعركة معدودة. وإذا هم في اليوم التالي للهزيمة والقرح، يخرجون مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- غير هيَّابين ولا مترددين ولا وجلين من تخويف الناس لهم حتى استحقوا تنويه الله بهم: «الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزادَهُمْ إِيماناً، وَقالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»..

ولما كبروا بعد ذلك شيئاً فشيئاً.. تغيرت معاملتهم، وحوسبوا كما يحاسب الرجال الكبار. بعد ما كانوا يربتون هنا كما يربت الأطفال! والذي يراجع غزوة تبوك في سورة براءة ومؤاخذة الله ورسوله للنفر القلائل المتخلفين، تلك المؤاخذة العسيرة، يجد الفرق واضحاً في المعاملة ويجد الفرق واضحاً في مراحل التربية الإلهية العجيبة. كما يجد الفارق بين القوم يوم أحد، والقوم يوم تبوك.. وهم هم.. ولكن بلغت بهم التربية الإلهية هذا المستوى السامق.. ولكنهم مع هذا ظلوا بشراً. وظل فيهم الضعف، والنقص، والخطأ.

ولكن ظل فيهم كذلك الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله)[1].

* * *

١ . في ظلال القرآن ١ / ٥٢٩ .

الصفة الرابعة:العزة والإباء رغم الهزيمة والانكسار:

من الصفات التي يتربى عليها المؤمنون بصفة عامة والدعاة إلى الله تعالى بصفة خاصة صفة الشعور بالعزة والإباء والحرية والكرامة، ذلك أن المسلم يقرأ قول الله تعالى: ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾[1] ويقرأ قول الله تعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2] ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾[3] .

على هذه المعاني الجليلة ينشأ المؤمن، وهو يعلم أنه يعبد إلها حقا، خلق السماوات والأرض بالحق، وأنزل الكتاب بالحق، والدعاة إلى الله تعالى هم أولى الناس بهذا الشعور، شعور الانتماء إلى الحق، والتمسك به، والدعوة إليه.

وقد يمر الدعاة إلى الله بمحنة يعلو فيها صوت الباطل، وينتصر أهله، وترتفع رايتهم لبعض الوقت، وفي هذا الوقت يجب على الدعاة ألا يشعروا بالوهن والضعف، بل يجب أن يستمروا على شعورهم الأول بالعزة والإباء رغم المحن والشدائد.

والمتتبع لأحداث غزوة أحد يجد أن النبي (ﷺ) كان حريصا على تربية أصحابه على هذا المعنى . العزة والإباء رغم الهزيمة والانكسار . فعلى الرغم مما وقع من أحداث جسيمة أدت إلى مقتل الكثيرين من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ومنهم حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) عم النبي (صلى الله عليه وسلم)، وعلى الرغم مما أصيب به النبي (صلى الله عليه وسلم) من جراح وآلام، وما وقع في الجيش من خسائر وجراح، على الرغم من هذا كله وقف النبي (صلى الله عليه وسلم) يربي أصحابه على العزة والشموخ، وعدم الضعف والوهن، ونزل القرآن الكريم

---

١ . سورة المنافقون الآية ٨

٢ . سورة البقرة الآية ٢٥٧

٣ . سورة محمد الآية ١١

يغرس في نفوس الصحابة (رضي الله عنهم) خاصة والمؤمنين عامة هذه الصفة، صفة الاستعلاء بالحق وعدم الضعف والوهن.

يروي الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية هذا الموقف:

(وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّد؟ فَقَالَ: لَا تجيبوه. فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ فَقَالَ : لَا تُجِيبُوهُ. فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا.فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُحْزِنُكَ.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَجِيبُوهُ.

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَجِيبُوهُ.

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ)[1]

يقول تعالى: ﴿ ولَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[2]

يقول صاحب الظلال:

(لا تهنوا – من الوهن والضعف – ولا تحزنوا – لما أصابكم ولما فاتكم – وأنتم الأعلون.. عقيدتكم أعلى فأنتم تسجدون لله وحده ، وهم يسجدون لشيء من خلقه أو لبعض من خلقه! ومنهجكم أعلى. فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله ، وهم

١ . البداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص ٤٩ دار المعرفة . بيروت . لبنان ١٣٩٥ = ١٩٧٦)

٢ . سورة آل عمران الآيتان ١٣٩ ، ١٤٠

يسيرون على منهج من صنع خلق الله! ودوركم أعلى. فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها ، الهداة لهذه البشرية كلها ، وهم شاردون عن النهج ، ضالون عن الطريق. ومكانكم في الأرض أعلى , فلكم وراثة الأرض التي وعدكم الله بها ، وهم إلى الفناء والنسيان صائرون.. فإن كنتم مؤمنين حقا فأنتم الأعلون. وإن كنتم مؤمنين حقا فلا تهنوا ولا تحزنوا. فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا ، على أن تكون لكم العقبى بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص)[1].

وتتوالى الآيات القرآنية التي تربي المؤمنين بصفة عامة، والدعاة إلى الله تعالى بصفة خاصة على هذا المعنى . معنى العزة والكرامة وعدم الضعف والوهن . ذلك أن الله تعالى يعلم طبيعة النفس البشرية وما يعتريها من شعور بالضعف حال الهزيمة والانكسار.

يقول تعالى: ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ. وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ. وَاللَّهُ مَعَكُمْ. وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ ﴾[2].

يقول صاحب الظلال:

(أنتم الأعلون. فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم. أنتم الأعلون اعتقادا وتصورا للحياة. وأنتم الأعلون ارتباطا وصلة بالعلي الأعلى. وأنتم الأعلون منهجا وهدفا وغاية. وأنتم الأعلون شعورا وخلقا وسلوكا.. ثم.. أنتم الأعلون قوة ومكانا ونصرة. فمعكم القوة الكبرى: «وَاللَّهُ مَعَكُمْ».. فلستم وحدكم. إنكم في صحبة العلي الجبار القادر القهار. وهو لكم نصير حاضر معكم. يدافع عنكم. فما يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم؟ وكل ما تبذلون، وكل ما تفعلون، وكل ما يصيبكم من تضحيات محسوب لكم، لا يضيع منه شيء عليكم:

---

١ . الظلال ١ / ٤٨٠ .

٢ . سورة محمد الآية ٣٥

«وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ».. ولن يقطع منها شيئا لا يصل إليكم أثره ونتيجته وجزاؤه.

فعلام يهن ويضعف ويدعو إلى السلم، من يقرر الله– سبحانه– له أنه الأعلى. وأنه معه. وأنه لن يفقد شيئا من عمله. فهو مكرم منصور مأجور؟)[1]

من هنا فليعلم الدعاة إلى الله تعالى أنهم الأعلى، لأنهم يركنون إلى القوة المطلقة، وأنهم الأعلى لأنهم أصحاب المنهج الأعلى، والهدف الأعلى، والغاية الأعلى، وأنهم الأعلى لأن الله معهم ينصرهم ويؤيدهم ويدفع الضر عنهم، ولن يخذلهم ما داموا على الطريق سائرين وبالحق مستمسكين.

ومما لا شك فيه أن الشعور بالعلو والخيرية والارتقاء سبب رئيس في تحقيق النصر على الأعداء، وأن الشعور بالمهانة والذل والهوان طريق الهزائم والانحدار.

* * *

١ . الظلال ٦ / ٣٣٠١

خامسا: (صفات أخرى)

وتتوالى أحداث غزوة أحد والتعقيب القرآني عليها بذكر عدد آخر من صفات الدعاة إلى الله تعالى ومنها: **(العفو . الاستغفار . الاستعانة بالله واللجوء إليه . الشورى . الاستفادة من الأخطاء . القلب الكبير)**

قال تعالى: ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ. وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ. فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ. فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1]

فالناس في حاجة إلى قلب رحيم، وإلى رعاية فائقة، وبشاشة سمحة، وإلى حلم لا يضيق بجهلهم ونقصهم، وإلى صدر يتسع للجميع لا يرد أحدا مهما كان خطأه.

الناس في حاجة إلى من يعطيهم ولا يحتاج إليهم، ويحمل عنهم همومهم وآلامهم، دون أن ينتظر منهم أن يعتنون بهمه، الناس في حاجة إلى الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة.. وهكذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) صاحب القلب الكبير، والحلم العظيم، والبشاشة والسماحة والود، وهكذا فليكن الدعاة إلى الله تعالى تأسيا بحبيبهم (صلى الله عليه وسلم).

والدعاة إلى الله تعالى يحملون أمانة ثقيلة تنوء بحملها الجبال، ويتعرضون لمحن شديدة، وآلام عصيبة، ولن يستطيعوا أداء تلك الأمانة، وتحمل تلك الآلام، والتغلب على كل المصاعب والمحن، لن يستطيعوا ذلك كله إلا بشئ واحد وهو (الاستعانة بالله تعالى واللجوء إليه) فهو الناصر والمعين.

ومن أحداث غزوة أحد ما يؤكد هذا المعنى، فقد ذكر الواقدي في المغازي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن فرغ من دفن الشهداء (صف أصحابه ، وأخذ يدعو الله سبحانه وتعالى ، فهو لا ينساه في سراء ولا ضراء ، وكان مما قاله:"

---

١. سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادى لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق)[1].

وكان هذا دأب الأنبياء جميعا . عليهم السلام . قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾[الأنبياء:٨٩]، ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء:٩٠] فقد كان أنبياء الله يلجئون إلى الله سبحانه وتعالى في السراء والضراء.. يلجئون إليه عبادةً وخضوعاً وتذللاً له سبحانه وتعالى، ويلجئون إليه استعانة واستنصاراً به سبحانه وتعالى؛ ولهذا كان الجواب سريعاً عاجلاً: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[القمر:١٠-١٤]. وجدير بمن يكون على هذا المنهج ويقتفي أثره أن تكون له صلة بالله سبحانه وتعالى، دعاءً ورغبة ورهبة ولجوءاً إليه سبحانه وتعالى، واستعانة به عز وجل، واستمداداً للعون والثبات والتوفيق منه سبحانه وتعالى.

---

١ . المغازي ١ / ٣١٥

المبحث الثالث: أهمية الشورى في الدعوة إلى الله تعالى

المطلب الأول:

أهمية الشورى في حياة الأمة

المطلب الثاني:

الشورى في غزوة أحد

المطلب الأول: أهمية الشورى في حياة الأمة

تعد الشورى ركيزة أساسية في بناء الدولة الإسلامية، بل هي من أُسس الحكم في الإسلام، ومن أبرز خصائصه؛ فالشورى تحتل مكان الصدارة في عداد المبادئ التي جاء بها الإسلام، وأرسى دعائم دولته.

والشورى مبدأ أساسي من مبادئ الإسلام، وليس هذا فحسب، بل إن الإسلام جعلها من صفات المؤمنين الصالحين، حتى إنها وردت في السياق القرآني الكريم بين ركنين عظيمين من أركان الدين هي الصلاة والزكاة، قال تعالى: {والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون}[1].

وكانت الشورى من أهم صفات الرسول (، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: (ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله)[2].

ومن الدلائل التي تدل على أهمية الشورى في الإسلام أن الله سبحانه وتعالى أمر بها رسوله الكريم، فقال تعالى: {وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين}[3]

وأكد عليها الرسول الكريم (، فقال: (المستشار مؤتمن)[4].وقال: (إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه)[5]

والرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يُحدد مَنْ يخلفه في قيادة الدولة الإسلامية وإنما ترك ذلك للمسلمين بعد أن يتشاوروا على من يرضونه خليفة لرسول الله.

وسار الخلفاء الراشدون على سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

---

١ . [الشورى: ٣٨]

٢. رواه الترمذي ب : ما جاء في المشورة ٤ / ٢١٣ حديث رقم ١٧١٤ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط٢ ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

٣ ـ [آل عمران: ١٥٩].

٤ . أبو داود ب : في المشورة ٤ / ٣٣٣ حديث رقم ٥١٢٨ المكتبة المصرية . بيروت

٥ . ابن ماجة ب : المستشار مؤتمن ٢ / ١٢٣٣ حديث رقم ٣٧٤٧ ، دار إحياء الكتب العربية .

ولأهمية الشورى في حياة الأمة، سمى الله تعالى سورة في القرآن الكريم باسم الشورى، ومدح أهل الشورى في معرض حديثه عن فرائض كلية في الإسلام؛ ليدلل على عظيم شأنها ومكانتها، فالأمة تعيش على وجه الأرض بالخيرية من السعادة في تطبيقها؛ لهذا المبدأ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارُكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاؤُكُمْ، وَأُمُورُكُم شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا "[1].

فوائد الشورى:

١. إن الشورى طريق إلى وحدة الأمة الإسلامية، ووحدة المشاعر الجماعية، من خلال عرض المشكلات العامة، وتبادل الرأي والحوار.

٢. الشورى خير وسيلة للكشف عن الكفاءات والقدرات، وتحقيق الأفراد لذاتياتهم، وما أوتوا من مواهب وملكات؛ كي تستفيد الدولة والأمة من كافة طاقات أبنائها، ولاسيما في شئون الحكم والسياسة.

٣. الشورى آلية للتوصل إلى توافق بخصوص اختيار البديل الأمثل من بين عدة خيارات مطروحة، فَلُبُّ الشورى هو المشاركة في القرار السياسي وغيره، وهي آلية المشاركة مع الإبقاء على التعددية والتمايز.

٤. إنها خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة، وتدريبها على تحمل التبعات، كما أنها تُعَوِّد الأفراد على العطاء، وعلى الانتماء لجماعتهم ووطنهم، وتحمل مسؤولياتهم تجاه هذه الجماعة.

٥. تدرب الشورى المستشار على المساهمة في الحكم والإدارة، وتثريه بالتجربة وجودة الرأي والتفكير من خلال ممارسته للشورى.

٦. إن ممارسة الشورى في كل جوانب الحياة يمثل للأمة المسلمة مدرسة تستطيع

١الترمذي: السنن (كتاب الفتن، باب ٥٢٩/٤ ح ٢٢٦٦)، وقال: " حسن غريب "

من خلالها تحقيق آراء قوية وسديدة توصلها إلى طريق النصر والتمكين، كما نال بها المسلمون الأوائل، الظفر والأمن.

* * *

المطلب الثاني: الشورى في غزوة أحد

كانت غزوة أحد تربية عملية للصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) بل وللأمة الإسلامية بصفة عامة وللدعاة والحكام بصفة خاصة على تطبيق مبدأ الشورى، ولم يكن هذا شأنه ﷺ في أحد وحدها بل كان في غيرها من المواقع والأحداث، كما حدث في بدر قبل المعركة وبعدها وفي غيرها من أحداث السيرة.

أما عن الشورى في غزوة أحد فبعد أن جمع النبي ﷺ المعلومات اللازمة عن جيش مكة وتحركهم تجاه المدينة جمع النبي ﷺ أصحابة ليشاورهم في الأمر، وكان محور الشورى يدور على أمرين: أيخرج النبي بجيش المسلمين للقتال، أم يبقي في المدينة ويقاتل العدو؟ وأي الأمرين أنكى للعدو وأقرب للنصر

ووقف الرسول الكريم بعد الصلاة يستشير المسلمين قبل المعركة، وروي ابن هشام في "سيرة النبي" تفاصيل مجلس الشورى أن الرسول الكريم قال لأصحابه: (فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا؛ فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها)[1].

وأضاف ابن هشام قائلاً: "وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكره الخروج، ولكن نفرًا من الصحابة فاتهم "غزوة بدر" قالوا: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنَّا جبنَّا عنهم وضعفنا"؛ فقال عبدالله بن أبي ابن سلول: "يا رسول الله، أقم بالمدينة، لا تخرج إليهم؛ فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه؛ فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا".[2]

---

١ . تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٥٧ مؤسسة الرسالة ، ط٢ ١٤٠١هـ =١٩٨١م

٢ . السابق ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

وانتهى مجلس الشورى بتغلب الرأي القائل بالخروج من المدينة وقتال العدو، حيث ذكر ابن هشام: "فلم يزل الناس برسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيته، فلبس لأمته، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة"[1].

وأظهر الرسول الكريم احترامه لمبدأ الشورى، وما استقر عليهم الرأي، وإن كان هذا الرأي يخالف ما رآه هو نفسه، ذلك أن النفر الذي رأى الخروج من المدينة ندموا، وقالوا: "استكرهنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يكن لنا ذلك، فلما خرج عليهم رسول الله – صلى الله عليهم وسلم – قالوا: "يا رسول الله، استكرهناك، ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد، صلى الله عليك"؛ فقال – صلى الله عليه وسلم –: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)[2]؛ فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ألف من أصحابه.

قال ابن كثير:

(وَأَبَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْخُرُوجَ إِلَى الْعَدُوِّ وَلَمْ يَتَنَاهَوْا إِلَى قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأْيِهِ وَلَوْ رَضُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ كَانَ ذَلِكَ وَلَكِنْ غَلَبَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، وَعَامَّةُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ رِجَالٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، قَدْ عَلِمُوا الَّذِي سَبَقَ لِأَصْحَابِ بِدْرٍ مِنَ الْفَضِيلَةِ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُمُعَةَ وَعَظَ النَّاسَ وذكَّرهم وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالْجِهَادِ ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ خُطْبَتِهِ وَصِلَاتِهِ فَدَعَا بِلَأْمَتِهِ فَلَبِسَهَا ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رِجَالٌ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ قَالُوا: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَمْكُثَ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَمَا يُرِيدُ وَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

١ . السابق ص ١٥٨ .

٢ . السابق ١٥٨

امْكُثْ كَمَا أَمَرْتَنَا فَقَالَ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا أَخَذَ لَأْمَةَ الْحَرْبِ وَأَذَّنَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يُقَاتِلَ وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ فَأَبَيْتُمْ إِلَّا الْخُرُوجَ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَأْسِ إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ وَانْظُرُوا ماذا أمركم الله به فافعلوا)[1].

ومضى النبي صلى الله عليه وسلم على عزمه الذي قضت به الشورى ؛ وذلك حتى يكون للشورى أصحابها ومقامها، وحتى لا يعود هناك استخفاف بالرأي، ولا تهوين ولا تسفيه للقول .

هكذا سار الأمر والتزم النبي ﷺ وهو النبى الموحى إليه، والذي لا ينطق عن الهوى التزم بتطبيق مبدأ الشورى بينه وبين أصحابه، وفي هذا درس عظيم لكل من هو أدنى من النبي ﷺ . وكل الناس أدنى منه منزلة . بالتزام مبدأ الشورى ففيه الخير كل الخير.

ومن خلال أحداث الغزوة والتعقب القرآني عليها في آيات سورة آل عمران يتأكد لنا أهمية الشورى وضرورة العمل بها، فعلى الرغم من الأحداث المريرة التي وقعت للمسلمين في أحد والنتائج المفزعة التي وقعت إلا أن القرآن الكريم يعقب على أحداث الغزوة ويؤكد على الشورى وضرورة الالتزام بها.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2]

يقول صاحب الظلال:(لقد جاء هذا النص عقب وقوع نتائج للشورى تبدو في ظاهرها خطيرة مريرة! فقد كان من جرائها ظاهرياً وقوع خلل في وحدة الصف المسلم!

١ . البداية والنهاية لابن كثير ٤ / ١٥ دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .
٢ . (سورة آل عمران الآية ١٥٩)

اختلفت الآراء. فرأت مجموعة أن يبقى المسلمون في المدينة محتمين بها، حتى إذا هاجمهم العدو قاتلوه على أفواه الأزقة. وتحمست مجموعة أخرى فرأت الخروج للقاء المشركين.

وكان من جراء هذا الاختلاف ذلك الخلل في وحدة الصف. إذ عاد عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش، والعدو على الأبواب- وهو حدث ضخم وخلل مخيف- ... ولم يكن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يجهل النتائج الخطيرة التي تنتظر الصف المسلم من جراء الخروج، فقد كان لديه الإرهاص من رؤياه الصادقة، التي رآها، والتي يعرف مدى صدقها. وقد تأولها قتيلاً من أهل بيته، وقتلى من صحابته، وتأول المدينة درعاً حصينة.. وكان من حقه أن يلغي ما استقر عليه الأمر نتيجة للشورى.. ولكنه أمضاها وهو يدرك ما وراءها من الآلام والخسائر والتضحيات. لأن إقرار المبدأ، وتعليم الجماعة، وتربية الأمة، أكبر من الخسائر الوقتية.

ولقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة. أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أحرج الظروف وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة! ولكن الإسلام كان ينشئ أمة، ويربيها، ويعدها لقيادة البشرية. وكان الله يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة، أن تربى بالشورى وأن تدرب على حمل التبعة، وأن تخطئ- مهما يكن الخطأ جسيماً وذا نتائج مريرة- لتعرف كيف تصحح خطأها، وكيف تحتمل تبعات رأيها وتصرفها. فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ..)[1]

ولا يخفى على دارسي السيرة النبوية والمتعمقين في أحداثها أن الشورى كان لها الدور الفاعل في تحقيق النصر كما حدث في بدر والخندق وغيرهما، كما كانت الشورى سببا في تخطي الكثير من العقبات التي اعترضت طريق الدعوة الإسلامية

١. في ظلال القرآن ١ / ٥٠٠ دار الشروق ط١٧ ١٤١٢هـ

منذ بدايتها.

وروعة الشورى أنها تستمد قوتها من ربانيتها؛ فهي تمزج بين تعاليم السماء التي لا يأتيها الباطل، فترسم حدود التفكير واتخاذ القرارات بأطر الشرع الحكيم، وبين حرية اختيار البشر وإعمال عقلهم في اختيار القرار الأصلح والأصوب من وجهة نظر الأغلبية.

من هنا كانت الشورى بالنسبة للعمل الدعوي مصباحًا ينير ظلمة طريق طويل، تاهَ فيه من تاه، وتعثَّر فيه من تعثَّر، فتسير الدعوة وهو يرى بنور الله، فلا تسلك مسلكًا جانبيًّا خاطئًا يهدر وقتها وجهدها، ويسير أصحاب الدعوة فيه بحماس وهمة، بعد أن أعطاهم الإسلام قيمة احترام أنفسهم وعقولهم، بإقرار حقهم في الاختيار واتخاذ القرار وتحمُّل المسئولية.

إنها بالفعل معادلة غاية في الجمال، لو نجح الدعاة في تطبيقها بصدق وإخلاص لحقَّقت الدعوة قفزات وقفزات نحو آمال عريضة ما زلنا ننظر إليها من بعيد في شوق وشغف.

فتطبيق الشورى في العمل الدعوي يفجِّر الطاقات في نفوس الدعاة ؛ لأن الشورى نظام يدعو إلى إبداء حرية الرأي واحترامه أيًّا كان، ونقاشه باهتمام، والسعي إلى تطبيقه إذا رأت الأغلبية أنه مفيد للعمل، وهو أسلوب يدفع أفراد العمل إلى الابتكار والإبداع، ويفجِّر فيهم الحماس، ويُشعرهم بقيمة الجهد وسعادة الإنجاز، إنه نظام يرفع قدر الإنسان ويُشعره بذاته وقدرته على الفعل والحركة والتغيير، وكل هذا بالطبع يعود على العمل الدعوي بالنفع ويدفعه قدمًا إلى الأمام.

المبحث الرابع:
معوقات في طريق الدعوة من خلال أحداث غزوة أحد

المطلب الأول: الاختلاف والتنازع

المطلب الثاني: إيثار الدنيا على الآخرة

المطلب الثالث: مخالفة أمر القيادة

المطلب الرابع: الالتفاف حول الأشخاص دون المبادئ

المطلب الأول: الاختلاف والتنازع

لماذا الحرص على الوحدة والترابط؟

إن الإسلام لا يأمر بأمر ولا ينهى عن نهى إلا وكان وراء ذلك مصلحة الأمة الإسلامية، والواقع أن وراء الاتحاد منافع جليلة وآثارا عظيمة تعود على الأمة الإسلامية.

يقول د/ القرضاوى فى هذا المعنى:

(الاتحاد يقوى الضعفاء، ويزيد الأقوياء قوة على قوتهم، فاللبنة وحدها ضعيفة مهما تكن متانتها، وآلاف اللبنات المتفرقة ضعيفة بتناثرها وإن بلغت الملايين، ولكنها فى الجدار قوة لا يسهل تحطيمها، لأنها باتحادها مع اللبنات الأخرى فى تماسك ونظام أصبحت قوة أى قوة.

وهذا ما أشار إليه النبى ﷺ بقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك ﷺ بين أصابعه)[1].

ونبهت عليه الآية الكريمة: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾[2]. ثم يمضى فضيلته مبينا أثرا آخر يعود على الفرد داخل الأمة الإسلامية فيقول:والاتحاد كذلك عصمة من الهلكة، فالفرد وحده يمكن أن يضيع ويمكن أن يسقط وتفترسه شياطين الإنس والجن، ولكنه فى الجماعة محمى بها، كالشاة فى وسط القطيع لا يجترئ الذئب أن يهجم عليها، فهى محمية بالقطيع كله، إنما يلتهمها الذئب حين تشرد عن جماعتها وتنفرد بنفسها فيجد فيها ضالته ويأكلها فريسة سهلة.

وفى هذا جاء الحديث: (إن الشيطان ذئب الإنسان، وإنما يأكل الذئب من الغنم

---

١ . صحيح البخاري ب : تعاون المؤمنين بعضهم بعضا حديث رقم ٢٤٤٦ .

٢ . سورة الصف الآية ٤ .

القاصية)[1]

(عليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد)[2] ***.)***[3]

مما سبق يتبين لنا أن الإسلام حرص على الاتحاد والترابط لأنه سبب القوة، والقوة هى سبيل تحصيل العزة والكرامة، كما أنه بالوحدة يحافظ المجتمع على أفراده من الانحراف والضياع حتى يظلوا أفرادا صالحين مصلحين.

هلاك الأمة بالاختلاف:

وكما أن الاتحاد قوة فإن التفرق ضعف، والضعف يؤدى إلى الذلة والهوان، وما حققت الأمة الإسلامية ما حققت من أمجاد إلا باتحادها وتجمعها حول تعاليم دينها، ثم حدث لها ما حدث من تراجع وانحسار.

ويمكن أن نعيد تأخر المسلمين وانحطاطهم إلى سبب رئيس ألا وهو الفرقة التى مزقت شمل الأمة وقطعت أوصالها فجعلتها أمما وشيعا وطوائف وتجمعات، وقد مضت سنة الله تعالى فى الأمم أن يكون الاختلاف من أسباب هلاكها كما أخبرنا النبى ﷺ فى الحديث: (فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[4] وفى رواية: (فأهلكوا). وعن ابن مسعود (فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف).

قال الإمام ابن حجر: (وفى الحديث الحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة والاختلاف)[5].

فالخلاف إذا هو علة هلاك الأمم.

وقد أخبر جل وعلا أن التنازع يسبب الفشل وذهاب القوة، وعند ذلك ينال الأعداء من الأمة ما يريدون.

---

١ . رواه أحمد ج٥ مسند الأنصار حديث معاذ بن جبل ﷺ .

٢ . رواه الترمذى ج٣ ب : فى لزوم الجماعة رقم ٢٢٥٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

٣ . انظر : الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص ٢٨ ، ٢٩ .

٤ . صحيح البخاري ب : حديث الغار حديث رقم ٣٤٧٦ .

٥ . فتح البارى ٩/ ١٠٢ .

يقول تعالى: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾[1]

وفى صحيح الإمام مسلم عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربى قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا)[2].

فالحديث يبين بوضوح أن الله تعالى وعد هذه الأمة . ووعده لا يتخلف . بالنصر والتأييد والغلبة ما دامت متحدة، فإذا ما تفرقت واختلفت وتنازعت سلب الله منها ما أعطاه لها من قوة وسلط عليها عدوها ليوقع بها الهزائم وليحل عليها النقم والبلايا.

الاختلاف والتنازع والفشل في غزوة أحد

قال تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون ﴾[3]

يقول صاحب الظلال: (واللمسة الثانية في هذا المشهد الأول، هي حركة الضعف والفشل التي راودت قلوب طائفتين من المسلمين بعد تلك الحركة الخائنة التي قام بها رأس النفاق «عبد الله بن أبي بن سلول» حين انفصل بثلث الجيش، مغضبا أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- لم يأخذ برأيه، واستمع إلى شباب أهل المدينة! وقال: «لو نعلم قتالاً لاتبعناكم!» فدل بهذا على أن قلبه لم يخلص للعقيدة وأن شخصه ما

١ . سورة الأنفال الآية ٤٦ .

٢ . مسلم ب : هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض

٣ . سورة آل عمران الآية ١٢٢ .

يزال يملأ قلبه، ويطغى في ذلك القلب على العقيدة.. العقيدة التي لا تحتمل شركة في قلب صاحبها، ولا تطيق لها فيه شريكاً! فإما أن يخلص لها وحدها، وإما أن تجانبه هي وتجتويه! «إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا، وَاللَّهُ وَلِيُّهُما، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».. وهاتان الطائفتان- كما ورد في الصحيح- من حديث سفيان بن عيينة- هما بنو حارثة وبنو سلمة. أثرت فيهما حركة عبد الله بن أبيّ، وما أحدثته من رجة في الصف المسلم، من أول خطوة في المعركة. فكادتا تفشلان وتضعفان. لولا أن أدركتهما ولاية الله وتثبيته، كما أخبر هذا النص القرآني: «وَاللَّهُ وَلِيُّهُما»..)[1]

وهكذا يدرك الدعاة إلى الله تعالى خطورة التنازع والاختلاف، وأن مصير المتنازعين إلى الفشل كما جاء في الآيات الكريمة التي تحدثت عن غزوة أحد، وكما جاء في آية سورة الأنفال: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [2]

١ . الظلال ١ / ٤٦٨ .

٢ . سورة الأنفال الآية ٤٦ .

المطلب الثاني: إيثار الدنيا على الآخرة

من الآفات النفسية الخطيرة التي تؤدي إلى الفشل والقعود عن طريق الدعوة آفة: حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، لذا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحذر من الاغترار بالدنيا والركون إليها ونسيان الآخرة:

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[1].

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا. الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[2]

فهذه الآيات تبين أن الحياة الدنيا هي دار الغرور، وأنها متاع مؤقت زائل، وأنها لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال، وأنها فاتنة وفانية، وأن الآخرة هي دار القرار، فإذا كانت الدنيا بهذه المواصفات فلماذا الركون إليها وإيثارها على الآخرة الباقية.

وقد حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمته من الاغترار بالدنيا، والحرص الشديد عليها في أكثر من موضع، وذلك لما لهذا الحرص من أثره السيئ على الأمة عامة وعلى من يحملون لواء الدعوة خاصة ومن ذلك:

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[3]

---

١ . [آل عمران: ١٤]

٢ . سورة الكهف الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

٣ . مسلم ب : اكثر أهل الجنة الفقراء .

وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[1]

وعن كعب بن عياض ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال)[2]

من خلال النصوص السابقة يتبين أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأنها فتنة، وأنها ملعونة، وأن من يخلق فيها فعليه أن يعتقد أنه فيها غريب أو عابر سبيل.

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يفقهوا ذلك جيدا، وأن يحذروا من الدنيا وفتنتها وزخارفها، وأن يوقنوا أن ما ادخره الله تعالى لهم في الآخرة خير وأبقى.

وإذا تفكر الدعاة في أحداث غزوة أحد وقفوا على خطورة الحرص على الدنيا وأثر ذلك على الصف المسلم، قال ابن عباس – رضي الله عنه –: (لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: أدركوا الناس ونبي الله، لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم، وقال بعضهم: لا نريم حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم)[3] فنزلت: (مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ)[4]

قال الطبري: قوله سبحانه: (مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا) يعني الغنيمة، قال ابن مسعود: ما كنت أرى أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد)[5] (مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ).

---

١ . صحيح البخاري بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» حديث رق

٢ . الترمذي ب : ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال ، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيب ٤ / ٥٦٩

٣ . تفسير الطبري ٣ / ٤٧٤

٤ . [آل عمران: ١٥٢].

٥ . السابق ٣ / ٤٧٤

عن الزبير قال: لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هو ارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة عن العسكر، حين كشفنا القوم عنه، يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل، فانكفأنا وانكفأوا علينا، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منه أحد من القوم، فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو، فكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم بالشهادة، وكان من المسلمين في ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء ثلاثاً:

فثلث قتيل، وثلث جريح وثلث منهزم، قد لقيته الحرب حتى ما يدري ما يصنع، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقذف بالحجارة حتى وقع لشقة، وأصيبت رباعيته وشج في وجنتيه، وكلمت شفتاه،.....)[1]

(إن الذي حدث في أحد عبرة عظيمة للدعاة وتعليمًا لهم بأن حب الدنيا قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان ويخفى عليهم، فيؤثرون الدنيا ومتاعها على الآخرة ومتطلبات الفوز بنعيمها، ويعصون أوامر الشرع الصريحة كما عصى الرماة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم الصريحة بتأويل ساقط، يرفعه هوى النفس وحب الدنيا، فيخالفون الشرع وينسون المحكم من أوامره، كل هذا يحدث ويقع من المؤمن وهو غافل عن دوافعه الخفية، وعلى رأسها حب الدنيا، وإيثارها على الآخرة ومتطلبات الإيمان، وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم واقتلاع حب الدنيا منها، حتى لا تحول بينهم وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس وتلفتها إلى الدنيا ومتاعها)[2].

ولا يفهم مما سبق أن يعتزل الداعية المجتمع، ويتخل عن الكسب، ويحرم على

---

١ . سيرة ابن إسحاق ٣٢٧ ، ٣٢٨ دار الفكر . بيروت ط١ ١٣٩٨هـ =١٩٧٨م .

٢ . السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث) للدكتور / على محمد محمد الصلابي ٢ / ١٦١ دار التوزيع والنشر الإسلامية ط١٢ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

نفسه الطيبات، وإنما على الداعية أن يتذكر قول الله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِين ﴾[1]

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2]

فالإسلام لا يحرم على أتباعه أن يكونوا أغنياء، وأن يستمتعوا بالزينة والطيبات من الرزق التي أخرجها الله لهم، لكنه يريد منهم أن تكون الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم، ويريد منهم أن يجعلوا من هذا المال ومن هذا الغنى وسيلة لنصرة الدين ورفع رايته.

١ . سورة القصص الآية ٧٧

٢ . سورة الأعراف الآية (٣٢)

المطلب الثالث: مخالفة أمر القيادة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1]

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[2]

﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[3]

و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ "[4].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي "[5].

من خلال النصوص السابقة يتبين أهمية الطاعة لولي الأمر ومنزلتها في الإسلام، فالطاعة لولي الأمر طاعة لله، كما أنها وسيلة لإقامة شرع الله تعالى، وإحقاق الحق، وتحقيق خيرية الأمة الإسلامية، كما هي سبب في اجتماع كلمة المسلمين وتقوية شوكتهم وعلو رايتهم.

ومعصية ولي الأمر معصية لله، وهي سبب لضعف المسلمين، وتفرق كلمتهم، وانكسار شوكتهم، ومخالفة أمر القائد تسبب الفشل لجنوده والهزيمة لجيشه.

والدارس لغزوة أحد يقف على أثر مخالفة بعض الصحابة الكرام لأمر رسول الله

---

١ . سورة النساء الآية ٥٩ .

٢ . سورة آل عمران الآية (٣٢)

٣ . سورة النساء الآية (٨٠)

٤ . صحيح البخاري باب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً حديث رقم ٧١٤٢ .

٥ . صحيح البخاري بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} حدث رقم ٧١٣٧ .

ﷺ، فقد اصدر النبي ﷺ أمره صريحا إلى الرماة بألا يبرحوا أماكنهم حتى يرسل إليهم، مهما كانت نتيجة المعركة انتصارا أو هزيمة.

عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ قَالَ: جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا، عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: وَوَضَعَهُمْ مَوْضِعًا وَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ.

قَالَ: فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ عَلَى الْجَبَلِ وَقد بَدَت أسواقهن وَخَلَاخِلُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابِهِنَّ.

فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةَ، أَيْ قَوْمُ الْغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ، فَمَا تَنْظُرُونَ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: إِنَّا وَاللَّهِ لنأتين النَّاس فلنصيبن من الْغَنِيمَة.)[1]

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا نَصَرَ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ كَمَا نصر يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ يقول ابن عباس والحسن: الْقَتْلُ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَراكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ الْآيَةَ، وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ قَالَ: «احْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تُشْرِكُونَا» فَلَمَّا غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ، أَكَبَّتِ الرماة جميعا دخلوا فِي الْعَسْكَرِ يَنْهَبُونَ، وَلَقَدِ الْتَقَتْ صُفُوفُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُمْ هَكَذَا- وَشَبَّكَ بَيْنَ يَدَيْهِ- وَانْتَشَبُوا، فَلَمَّا أَخَلَّ الرُّمَاةُ تِلْكَ الْخَلَّةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، دَخَلَتِ الْخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ

١ . البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٤٩ دار المعرفة . بيروت ١٣٣٥هـ = ١٩٧٦م .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْتَبَسُوا وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ كَثِير...)[1]

هكذا كانت نتيجة مخالفة البعض لأمر النبي ﷺ، فقد رمي النبي ﷺ بالحجارة، ووقع لجنبه، وكسرت رباعيته، وشج رأسه، وكلمت شفته، وقتل سبعون من أصحاب النبي ﷺ، وتحول النصر إلى هزيمة، وسارت الشائعات بمقتل النبي ﷺ فقعد من قعد، وفر من فر إلى المدينة، وارتفع صوت الباطل، وعلت رايته، ووقف أبو سفيان منتشيا فرحا بالنصر متوعدا المسلمين ببدر للعام القابل.

امتثل الصحابة (رضوان الله عليهم) لأمر النبي ﷺ في بداية المعركة فاستحقوا النصر على عدوهم، ثم خالف الرماة أمر النبي ﷺ ونزلوا يشاركون في جمع الغنائم فانهزم المسلمون وأصابهم الغم.

قال تعالى: (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [2]

يقول الشيخ محمد بن عثيمين: (ومن آثار عدم الطاعة ما حصل من معصية بعض الصحابة رضي الله عنهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، وهم يجاهدون في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، والذي حصل أنه لما كانت الغلبة للمؤمنين، ورأى بعض الرماة أن المشركين انهزموا تركوا الموضع الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم ألا يبرحوه، وذهبوا مع الناس، وبهذا كر العدو عليهم من الخلف، وحصل ما حصل من الابتلاء والتمحيص للمؤمنين، وقد أشار الله تعالى إلى هذه العلة بقوله تعالى:

(وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ

---

١ . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٥٤٧ ، دار السلام . الرياض ط٢ ١٤١٨هـ =١٩٩٨م

٢ . سورة [آل عمران: ١٥٣].

وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ١٥٢] هذه المعصية التي فات بها نصر انعقدت أسبابه، وبدأت أوائله، هي معصية واحدة والرسول عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم، فكيف بالمعاصي الكثيرة؟ ولهذا نقول: إن المعاصي من آثارها أن الله يسلط بعض الظالمين على بعض بما كانوا يكسبون، ويفوتهم من أسباب النصر والعزة بقدر ما ظلموا فيه أنفسهم)[1].

هكذا فليتعلم الدعاة إلى الله تعالى من غزوة أحد أن طاعة القيادة . في غير معصية . سبب رئيس في تحقيق الخير للدعوة، وفي تحقيق الغاية منها، وان عصيان الجنود لقائدهم، وعدم التزامهم بأوامره سبب للفشل، وعدم نجاح الدعوة وتأخرها في تحقيق أهدافها.

١ . الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع ص دار المسلم . الرياض ط١ ١٤١٢هـ .

المطلب الرابع: التعلق بالأشخاص دون المبادئ

يواجه الدعاة إلى الله تعالى أزمة تربوية خطيرة، تؤدي إلى آفات خطيرة تصيب العمل الدعوي وتؤخره وتضعفه، وهي أزمة تعلق الناس بأشخاصهم وارتباطهم بهم، ودورانهم في فلكهم.

إنها أزمة يعيشها كثير من الناس.. فمنهم من هو متأثر برجل معين ومعجب به ويقلده في أفكاره وتصوراته وتصرفاته ، وهو في ذلك يتبعه في قراراته وميوله كما يتبعه في توجهاته وسلوكه.. بل قد يصل الحال به أن يتبعه في عداواته ومحباته ، وولاءاته وبراءاته ، مما يتسبب عنه مشكلات جمة ليس أقلها صورة التحزب المقيت لفرد مهما خالف الصواب أو صورة التصغير من شأن المخالف مهما كان خلافه معتبرا..

إنها أزمة خطيرة في ميدان العمل الدعوي ولابد للدعاة إلى الله تعالى أن يفقهوها جيدا ثم يعملوا على أن يتخلصوا منها ويخلصوا أتباعهم من أسرها..

ولا يفهم مما سبق أن الارتباط بالدعاة والعلماء كله مذموما، وأنه مرفوض بالكلية، فإن ذلك التعلق أمر طبيعي يحدث بين قلوب المدعوين وشخصية الداعية الناجح ذي الشخصية الآسرة ، فكل من عاصر نبيا وآمن به واتبعه تعلق قلبه بحبه وأعظم من تعلقت به القلوب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أنس بن مالك " لما قدم علينا رسول الله المدينة أضاء منها كل شيء، ولما مات أظلم منها كل شيء "[1] ، وقد تبارى الصحابة في إظهار هذا الحب لشخص النبي صلى الله عليه وسلم.

كل الدعوات بدأت بشخص يدعو لفكرته، ومن تعلق الناس بذلك الشخص يقتنعون معه بفكرته وعلى قدر تأثيره في الناس تبلغ دعوته.. وليس في هذا ضرر، إنما الضرر والخطر يكون في استمرار التعلق به إذا خالف النهج الرباني الأصيل ،

---

١ . رواه الترمذي ٥ / ٥٨٨ وقال هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .

والضرر كذلك في التعصب له والتحزب على أفكاره ، كما أن الضرر إذا تعلق به في الطاعة والمعصية فلا يطيع إلا بتقليده وإذا عصاه أو غفل قلده في عصيانه أو في غفلته..!!

وهذا التعلق بالأشخاص دون المبادئ يترتب عليه الكثير من الآفات التي أحاول أن أوضحها في السطور التالية:

آفات التعلق بالأشخاص دون المبادئ

١ . توقف الدعوة أو ضعفها لموت الدعاة أو توقفهم عن العمل لأي سبب من الأسباب

٢ . التقليد الأعمى للأشخاص، والدوران في فلكهم وإتباعهم سواء كانوا على الخطأ أو الصواب.

٣ . التحزب والتعصب للأفراد مما يؤدي إلى أن يُعظِّم رجال مجموعته مهما يكن فيهم من تقصير أو قصور، ويحقر رجال الآخرين مهما يكن فيهم من سمو في العلم والعمل.

٤ . تساقط بعض الدعاة إلى الله تعالى نتيجة قعود أو تخلف الرموز التي يتعلقون بها.

٥ . استمرار التعلق بالأشخاص حتى وإن خالفوا النهج الرباني الأصيل.

٦ . أن البشر . عدا الأنبياء . غير معصومين من الخطأ.

٧ . التقاطع والتدابر بين العاملين للإسلام.

٨ . زوال الأشخاص وبقاء المبادئ

٩ . تحريف المنهج الإسلامي ليجاري انحراف الأشخاص، وتبرير انحرافاتهم وأخطائهم بتحريف المنهج وتبديل قيمه وموازينه.

١٠ . دخول العجب والغرور إلى نفس الداعية.

طرق الوقاية والعلاج من التعلق بالأشخاص دون المبادئ:

يجب على الدعاة إلى الله تعالى لكي يتخطوا هذه الأزمة أن يراعوا الآتي:

١ . التجرد الشديد للدعوة، والإخلاص لله تعالى، وإنكار الذات.

٢ . تربية المدعوين على أن الداعية بشر يخطئ ويصيب، وأنه ليس معصوما، وأنه كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا المصوم ﷺ.

٣ . رجوع الداعية إلى الحق، والاعتراف بالخطأ، وعدم التعصب لرأيه.

٤ . ولا يكون همه غلبة منافسه بل يعلم الناس أن مبتغاه هو الحق مهما كان وأنه يود أن لو غلبه منافسه بالحق ويشرح لهم تطبيقيا معنى مقولة الشافعي: " ما ناظرت أحدا إلا دعوت الله أن يجري الحق على لسانه"

٥ . ولا يتأفف من قول: "أخطأت" في موطنها ، فإن الاعتراف بالأخطاء مكرمة والإصرار على الخطأ بعدما تبين نذالة ودناءة خلق وحب للسمعة وداء خبيث في القلب منشؤه الكبر.

٦ . وكذلك لا يستنكف عن الاستماع إلى تلاميذه ويعلمهم أن الله قد يفتح على رجل بمسألة لا يفقهها من هو أعلم منه وأكبر.

٧ . على الداعية دوما أن يعلم الناس ويذكرهم دائما بأفعال الصالحين وأقوالهم ومبادئهم في هذا المجال ، فيذكرهم:

بموقف {أبي بكر} يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله " من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " ، وبقول {عمر بن الخطاب} حين عزل {خالدا بن الوليد} بغير عجز ولا خيانة "لأنزعن خالدا حتى يُعلم أن الله ينصر دينه " أي بغير خالد فلا تتعلق القلوب به. ، وبموقف {أنس ابن النضر} يوم أحد عند شائعة مقتل النبي صلى الله عليه وسلم " إن كان قد مات فقد بلغ، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله "

٨ . أن يعلم الداعية أتباعه:

أ) ثبات الحق وزوال الأشخاص:

فالحق قديم، والحق خالد، والحق واحد، وقد استمدَّ الحق صفاته هذه من الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ﴾[١].

والأشخاص يزولون ويتقلبون، وتتنازعهم الأهواء والشهوات، وتعتريهم الشبهات، ويغويهم الشيطان، وتغلبهم النفس، ويكون الارتباط بهم كالمشي على أرض تميد أو تمور، أو كركوب سفينة تتقاذفها الأمواج ويتهددها الغرق والهلاك.

ب) الحق حاكم والأشخاص محكومون:

فالحق يحكم على الأشخاص بصلاحهم أو فسادهم، وباستقامتهم أو انحرافهم، وبهداهم أو ضلالهم.. ويوزن الأشخاص بميزان الحق، فيثقل من ثقل الحق معه، ويخف مَن يخف الحق معه، ولا وزن البتة لمن تنكَّر للحق وأدار له ظهره ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ (٨)﴾[٢].

أحداث غزوة أحد والعلاج القرآني لخطأ بعض الصحابة (رضي الله عنهم)

عندما خالف الرماة أمر النبي ﷺ ، وتركوا أماكنهم، ونزلوا يشاركون في جمع الغنائم انكشف ظهر المسلمين، واستطاع خالد بن الوليد أن يستغل هذه الثغرة وان يعمل السيوف في المسلمين، عندها حدث الخلل والارتباك في صفوف المسلمين، وقتل منهم من قتل، وأشيع أن النبي ﷺ قد قتل، فقعد بعض الصحابة وألقوا بأسلحتهم، وملأ اليأس قلوبهم، وفر بعضهم إلى المدينة، وهام بعضهم على وجهه... فقام بعض الصحابة الكرام بحث القاعدين على القتال والموت على ما مات عليه النبي ﷺ.

---

١ . سورة الحج:الآية ٦٢

٢ . سورة الأعراف:الآية ٨

وبعد انتهاء المعركة نزل القرآن الكريم بعلاج هذا الخطأ الذي وقع فيه بعض الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم)، ومعلما لهم أن النبي ﷺ بشر يقع عليه ما يقع على البشر من انتهاء الأجل بالموت، وأنه رسول قد خلت من قبله الرسل، وأن الدعوة باقية، ولذا يجب عليهم الارتباط بالدعوة والرسالة والدفاع عنها والموت في سبيلها.

قال ابن كثير (رحمه الله): (لَمَّا انْهَزَمَ مَنِ انْهَزَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، نَادَى الشَّيْطَانُ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، وَرَجَعَ ابْنُ قَمِيئَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا، وَإِنَّمَا كَانَ قَدْ ضَرَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ من الناس واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدْ قُتِلَ، وَجَوَّزُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، كَمَا قَدْ قَصَّ اللَّهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السلام، فحصل ضعف ووهن وَتَأَخُّرٌ عَنِ الْقِتَالِ، فَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ أَيْ لَهُ أُسْوَةٌ بِهِمْ فِي الرسالة وفي جواز القتل عليه.

قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ فَقَالَ لَهُ: يا فُلَانُ أَشَعَرْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قُتِلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: إِنْ كان محمد قَدْ قُتِلَ فَقَدْ بَلَّغَ، فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ، فَنَزَلَ وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى مَنْ حَصَلَ لَهُ ضَعْفٌ (أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ) أَيْ: رَجَعْتُمُ الْقَهْقَرَى (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) أَيِ الَّذِينَ قَامُوا بِطَاعَتِهِ وَقَاتَلُوا عَنْ دِينِهِ، وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا.)[1]

لقد كان من أسباب ما حدث في أحد بعد إشاعة مقتل النبي ﷺ أن هؤلاء الذين قعدوا وملأ اليأس قلوبهم أنهم ربطوا إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم إلى الله تعالى بشخص

١ تفسير ابن كثير ١ / ٥٤٣ .

النبي ﷺ، لقد ربطوا بين الرسالة الخالدة وبين شخص النبي ﷺ الذي يلحقه الموت كما لحق إخوانه الأنبياء الذين خلوا من قبل

قال القرطبي (رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾: (فَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الرُّسُلَ لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ فِي قَوْمِهَا أَبَدًا، وَأَنَّهُ يَجِبُ التَّمَسُّكَ بِمَا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَإِنْ فُقِدَ الرَّسُولُ بِمَوْتٍ أَوْ قَتْلٍ.... فَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ تَتِمَّةِ الْعِتَابِ مَعَ الْمُنْهَزِمِينَ، أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُمُ الِانْهِزَامُ وَإِنْ قُتِلَ مُحَمَّدٌ، وَالنُّبُوَّةُ لَا تَدْرَأُ الْمَوْتَ، وَالْأَدْيَانُ لَا تَزُولُ بِمَوْتِ الْأَنْبِيَاءِ)[1].

و يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله): (ثم عاتب الله عز وجل من أُسقط في أيديهم وانكسرت همتهم، لمّا أشيع أن الرسول عليه الصلاة والسلام مات، ما كذلك يسلك أصحاب العقائد !إنهم أتباع مبادىء لا أتباع أشخاص.ولو افترض أن الرسول (صلَّى الله عليه وسلم) قتل وهو ينافح عن دين الله، فحق على أصحابه أن يثبتوا في مستنقع الموت،وأن يردوا المصير نفسه الذي ورده قائدهم، لا أن ينهاروا ويتخاذلوا.

إن عمل محمد عليه الصلاة والسلام ينحصر في إضاءة الجوانب المعتمة من فكر الإنسان وضميره .فإذا أدى رسالته ومضى،فهل يسوغ للمستنير أن يعود إلى ظلماته فلا يخرج منها.!

لقد جمع محمد الناس حوله على أنه عبد الله ورسوله، والذين ارتبطوا به عرفوه إماماً لهم في الحق، وصلة لهم بالله.فإذا مات عبدالله، ظلَّت الصلة الكبرى بالحيّ الذي لا يموت باقية نامية:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

١ . (القرطبي ٤ / ٢٢٢)دار الكتب المصرية . القاهرة ط٢ ١٣٨٤ / ١٩٦٤

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1])[2]

يقول صاحب الظلال في ظلال الآية السابقة:

(إن محمدا ليس إلا رسولا. سبقته الرسل. وقد مات الرسل. ومحمد سيموت كما مات الرسل قبله.. هذه حقيقة أولية بسيطة. فما بالكم غفلتم عنها حينما واجهتكم في المعركة ?

إن محمدا رسول من عند الله ، جاء ليبلغ كلمة الله. والله باق لا يموت ، وكلمته باقية لا تموت.. وما ينبغي أن يرتد المؤمنون على أعقابهم إذا مات النبي الذي جاء ليبلغهم هذه الكلمة أو قتل.. وهذه كذلك حقيقة أولية بسيطة غفلوا عنها في زحمة الهول. وما ينبغي للمؤمنين أن يغفلوا عن هذه الحقيقة الأولية البسيطة!

إن البشر إلى فناء ، والعقيدة إلى بقاء ، ومنهج الله للحياة مستقل في ذاته عن الذين يحملونه ويؤدونه إلى الناس ، من الرسل والدعاة على مدار التاريخ.. والمسلم الذي يحب رسول الله [ص] وقد كان أصحابه يحبونه الحب الذي لم تعرف له النفس البشرية في تاريخها كله نظيرا. الحب الذي يفدونه معه بحياتهم أن تشوكه شوكة. وقد رأينا أبا دجانة يترس عليه بظهره والنبل يقع فيه ولا يتحرك! ورأينا التسعة الذين أفرد فيهم ينافحون عنه ويستشهدون واحدا إثر واحد.. وما يزال الكثيرون في كل زمان وفي كل مكان يحبونه ذلك الحب العجيب بكل كيانهم ، وبكل مشاعرهم ، حتى ليأخذهم الوجد من مجرد ذكره [ص].. هذا المسلم الذي يحب محمدا ذلك الحب ، مطلوب منه أن يفرق بين شخص محمد [ص] والعقيدة التي أبلغها وتركها للناس من بعده ، باقية ممتدة موصولة بالله الذي لا يموت.

إن الدعوة أقدم من الداعية:

---

١. سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

٢ . فقه السيرة ص ١٧٣

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)..

قد خلت من قبله الرسل يحملون هذه الدعوة الضاربة في جذور الزمن ، العميقة في منابت التاريخ ، المبتدئة مع البشرية ، تحدو لها بالهدى والسلام من مطالع الطريق.

وهي أكبر من الداعية ، وأبقى من الداعية. فدعاتها يجيئون ويذهبون ، وتبقى هي على الأجيال والقرون ، ويبقى اتباعها موصولين بمصدرها الأول ، الذي أرسل بها الرسل , وهو باق – سبحانه – يتوجه إليه المؤمنون.. وما يجوز أن ينقلب أحد منهم على عقبيه , ويرتد عن هدى الله. والله حي لا يموت)[1]

هكذا جاء العلاج القرآني لهذا الخطأ الذي وقع فيه بعض الصحابة (رضوان الله عليهم) وما زال يقع فيه الكثير من أبناء هذه الأمة الخالدة، نزل القرآن الكريم ليبين أن مهمة النبي ﷺ أن يبلغ دين الله عز وجل، وأنه بشر وسيموت كما مات من جاء قبله من الرسل، فعلى جميع من أراد الفوز والنجاة أن يرتبطوا بمصدر هذه الرسالة وهو الله عز وجل، وأن يظلوا موصولين بالدعوة، وألا يربطوا ذلك ببقاء شخص الرسول أو الداعية فيهم.

ومما ينبغي التأكيد عليه أن ما سبق لا يعني التقليل من شأن الداعية أو القائد، ولا يعني أيضا أن حب المدعوين للدعاة وحب الجنود لقائدهم كله مذموما، فالتاريخ يذكر لنا أهمية القائد الذي تلتقي القلوب عليه، ودوره في تلاحم الصف وتآخيه، فلكم قرأنا عن خالد بن الوليد ﷺ في المعارك التي خاضها كيف كان يدفع بالصف كله إلى الإقدام والبذل والتضحية حين يقدم القدوة من نفسه ويكون أول من يخرج للمبارزة.

ولكن ما ينبغي أن يتربى عليه الصف المسلم هو التوازن والاعتدال بين حبهم للداعية وحبهم للدعوة والرسالة.

---

١ . في ظلال القرآن ١ / ٤٨٥ دار الشروق ط١٧ ١٤١٢هـ .

يقول الأستاذ منير الغضبان: (إننا بحاجة ونحن نربي هذه الجماعة المسلمة أن نوازن بين هذين المرين دون طغيان:

الأمر الأول: ربط الجنود بقائدهم ربطا وثيقا، ربط حياة وموت، واندفاعا إلى الاستشهاد وراءه، وتلبية لأمره وذودا عنه.

الأمر الثاني: أن يكون عمق العقيدة وحبها أكبر من حب القائد في القلب، فلو سقط القائد فلا بد من الموت على ما مات عليه، والسير على منهجه، ولئن تزعزع فلتكن العقيدة أكبر منه، وما حبه والتفاني ذودا عنه إلا لأنه يمثل الاستقامة على منهج الله..)[1].

وعلى هذه المعاني العظيمة تربى جيل الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم)، وعند موت النبي ﷺ كان التطبيق العملي لما تربوا عليه:

فلما توفي النبي ﷺ (أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى نَزَلَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ، وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسَجًّى [٣] فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، عَلَيْهِ بُرْدٌ حِبَرَةٌ [٤]، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَشَفَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ ذُقْتَهَا، ثُمَّ لَنْ تُصِيبَكَ بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَدًا. قَالَ: ثُمَّ رَدَّ الْبُرْدَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ، أَنْصِتْ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ لَا يَنْصِتُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَهُ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

---

١ . المنهج الحركي للسيرة النبوية ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ دار الوفاء ط١٠ ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .

الرُّسُلُ، أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ، وَمن يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾

قَالَ: فو الله لَكَأَنَّ النَّاسُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمئِذٍ، قَالَ: وَأَخَذَهَا النَّاسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّمَا هِيَ فِي أَفْوَاهِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:

قَالَ عُمَرُ: وَاَللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا، فَعَقِرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ)[1]

إذا على الدعاة إلى الله تعالى أن يستفيدوا من أحداث غزوة أحد، وأن يجتهدوا في تربية المدعوين وربطهم بالله عز وجل، وعلى حب الدعوة والالتزام بها، والتضحية في سبيلها.

وعلى الدعاة إلى الله تعالى التجرد والإخلاص لله تعالى، وأن يخلصوا نفوسهم من حظ نفوسهم، وألا يربطوا الدعوة بالداعية، وألا يخلطوا بين شخصية الداعية وبين ما يدعوا إليه، وأن يجتهدوا لنشر الدين، وتبليغ الرسالة، وأن يبتعدوا ويبعدوا المدعوين عن أسباب الفتن ومزالق الأفكار.

١ . السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٥٦ طبعة مصطفى البابي الحلبي ط٢ ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م .

المبحث الخامس:
قوانين النصر والهزيمة من خلال أحداث غزو أحد

١ . النصر بيد الله وحده ولن يقف أحد أمامه مهما كانت قوته

٢ . نصر الله تعالى لا يتنزل إلا على المؤمنين:

٣ . الوحدة والترابط أساس في النصر، والتفرق والاختلاف سبب للفشل والهزيمة:

٤ . الطاعة لله ولرسوله أساس في النصر، أما المعصية فتقود إلى الهزيمة:

٥ . حب الدنيا رأس كل خطيئة:

إن للنصر أسبابه وللهزيمة- كذلك- أسبابها، ولقد كانت غزوة أحد وما تنزل من القرآن الكريم للتعقيب على أحداثها في سورة آل عمران تبيانا وتوضيحا لأسباب النصر وأسباب الهزيمة، وذلك لتَعِي الأمة الدرس ولا تكسل ولا تنام، بل عليها أن تنهض وأن تقاوم وأن تأخذ بأسباب النصر، مبتعدة عن أسباب الهزيمة والخسران.

والأمة العاقلة هى التي تستفيد بالتجارب ولا تُعْمِي عينها عما في القصص القرآني وكذلك أحداث السيرة النبوية من أحداث وما فيها من دروس وعبر.

١ . النصر بيد الله وحده ولن يقف أحد أمامه مهما كانت قوته

قال تعالى: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) ﴾[١]

قال تعالى: ﴿ وَما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[٢]

يقول صاحب الظلال: (إن النصر من عند الله. لتحقيق قدر الله. وليس للرسول [صلى الله عليه وسلم] ولا للمجاهدين معه في النصر من غاية ذاتية ولا نصيب شخصي. كما أنه ليس له ولا لهم دخل في تحقيقه ، وإن هم إلا ستار القدرة تحقق بهم ما تشاء! فلا هم أسباب هذا النصر وصانعوه ؛ ولا هم أصحاب هذا النصر ومستغلوه! إنما هو قدر الله يتحقق بحركة رجاله ، وبالتأييد من عنده. لتحقيق حكمة الله من ورائه وقصده)[٣].

فالنصر بيد الله وحده، ومن نصره الله تعالى لن يخذله أحد مهما كانت قوته وجبروته، ومن تخلى عنه الله وخذله فلن تستطيع قوة على وجع الأرض أن تنصره

١ . سورة آل عمران الآية ١٦٠ .

٢ . سورة آل عمران الآية ١٢٦ .

٣ . في ظلال القرآن ١ / ٤٧١ .

وتؤيده.

٢ . نصر الله تعالى لا يتنزل إلا على المؤمنين:

فالإيمان من أهم العوامل والمقومات التي مضت بها سنة الله في النصر، وقد تنزلت آيات القرآن تؤكد هذا الشرط وتوضحه:

قال تعالى: وقال تعالى: ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾[١]

﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾[٢] ﴿ وأن الله مع المؤمنين ﴾[٣]

يقول صاحب تفسير المنار في قوله تعالى: ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾[٤]: (وهي نص في تعليل النصر بالإيمان)[٥].

٣ . الوحدة والترابط أساس في النصر، والتفرق والاختلاف سبب للفشل والهزيمة:

فقد صدق وعد الله، وتحقق النصر للمؤمنين في بداية غزوة أحد عندما اتحد صفهم، وتوحدت غاياتهم، وكانوا على قلب رجل واحد، ثم انقلبت الأمور، واستحال النصر إلى هزيمة، ووقع البلاء، عندما تنازعوا واختلفوا وخالفوا أمر نبيهم وقائدهم ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦]

---

١ . سورة آل عمران الآية ١٢٢ .

٢ . سورة غافر الآية ٥١

٣ . سورة الأنفال الآية ١٩ .

٤ . سورة الروم الآية ٤٧ .

٥ . تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٧ / ٣١٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .

٦ . سورة آل عمران الآية ١٥٢ .

(وهو تقرير لحال الرماة. وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة ؛ ووقع النزاع بينهم وبين من يرون الطاعة المطلقة لأمر رسول الله [ص] وانتهى الأمر إلى العصيان. بعد ما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي يحبونه. فكانوا فريقين:فريقا يريد غنيمة الدنيا , وفريقا يريد ثواب الآخرة. وتوزعت القلوب فلم يعد الصف وحدة ، ولم يعد الهدف واحدا. وشابت المطامع جلاء الإخلاص والتجرد الذي لا بد منه في معركة العقيدة. فمعركة العقيدة ليست ككل معركة. إنها معركة في الميدان ومعركة في الضمير. ولا انتصار في معركة الميدان دون الانتصار في معركة الضمير. إنها معركة لله ، فلا ينصر الله فيها إلا من خلصت نفوسهم له)[1]

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾[2]

٤ . الطاعة لله ولرسوله أساس في النصر، أما المعصية فتقود إلى الهزيمة:

فأحداث غزوة أحد تؤكد أن طاعة الله ورسوله أساس النصر، وأن مخالفة أمر الله ورسوله والوقوع في المعصية سبيل إلى الهزيمة والفشل،

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]

فقد صدر الأمر صريحا إلى الرماة بألا يبرحوا أماكنهم حتى يرسل إليهم رسول الله ﷺ، فامتثلوا لأمر رسول الله ﷺ فلما بدت بوادر النصر، وفر المشركون خالف كثير من الرماة أمر النبي ﷺ ونزلوا يشاركون إخوانهم في جمع الغنائم، فانكشف ظهر

١ . في ظلال القرآن ١ / ٤٩٣ .

٢ . سورة الأنفال الآية ٤٦ .

٣ . سورة آل عمران الآية ١٥٢ .

المسلمين، واستطاع خالد بن الوليد ومن ومعه من فرسان قريش أن يقلب دفة المعركة لصالحه، وحدث ما حدث في صفوف المسلمين من اضطراب واختلاف، ووقعت الهزيمة بهم، وجاء القرآن الكريم يبين حالهم ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1]

هكذا يتبين من خلال أحداث الغزوة ثم التعقيب القرآني عليها أن طاعة الله ورسوله أساس النصر، وأن المعصية والمخالفة تؤدي إلى الهزيمة والانكسار.

٥ . حب الدنيا رأس كل خطيئة:

إن معركة الله لا ينتصر فيها إلا من خلصت نفوسهم لله وتجردوا له،وردت نصوص عديدة من آيات وأحاديث تبين منزلة الدنيا عند الله وتصف زخارفها وأثرها على فتنة الإنسان، وتحذر من الحرص عليها، قال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)[2] وقد حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمته من الاغترار بالدنيا، والحرص الشديد عليها في أكثر من موضع، وذلك لما لهذا الحرص من أثره السيئ على الأمة عامة وعلى من يحملون لواء الدعوة خاصة ومن ذلك:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"[3]

---

١ . سورة آل عمران الآية ١٥٣ .

٢ . سورة آل عمران الآية : ١٤.

٣ . رواه مسلم بَابُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ حديث رقم ٢٧٤٢ .

ويظهر للباحث أثر الحرص على الدنيا في غزوة أحد.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: (أدركوا الناس ونبي الله، لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم) وقال بعضهم: (لا نريم حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم) فنزلت: (مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ) [آل عمران: ١٥٢].

قال الطبري: قوله سبحانه: (مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا) يعني الغنيمة، قال ابن مسعود: ما كنت أرى أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد (مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ).)[1]

إن الذي حدث في غزوة أحد يعطي الدرس والعبرة للدعاة إلى الله تعالى بأن حب الدنيا قد يتسلل إلى قلوب المؤمنين ويخفى عليهم، فيؤثرون زخرف الدنيا الفاني على نعيم الآخرة الباقي، ويقعون في معصية أوامر الشرع، كما وقعت المعصية من الرماة، وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم واقتلاع حب الدنيا منها، حتى لا تحول بينهم وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس وتلفتها إلى الدنيا ومتاعها.

١ . جامع البيان في تأويل القرآن ٧ / ٢٩٥ مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م .

المبحث السادس
سنة الابتلاء

معنى الابتلاء:

جاء في لسان العرب[1]: بلوت الرجل وابتليته: اختبرته. وابتلاه الله: امتحنه. والاسم: البلوى والبلاء. والبلاء: الاختبار يكون في الخير والشر.

في المعجم الوسيط[2] ابتلاه: جربه وعرفه. والبلاء: الحادث ينزل بالمرء ليختبره.

وفي النهاية لابن الأثير[3]: الابتلاء في الأصل الاختبار والامتحان، يقال: بلوته وأبليته وابتليته. والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً من غير فرق بين فعلهما ومنه قوله تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾[4] .

الابتلاء سنة الله في الحياة:

والابتلاء سنة الله في الحياة، وهذا واضح في الكثير من آيات القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ ﴾[5]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾[6]

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[7]

من سنة الله الابتلاء بالشر والخير:

وقد مضت سنة الله في الابتلاء أنه يمتحن عباده بالشر والخير، أي يخبرهم بما

---

1. لسان العرب ، ج١٨ ، ص ٩٠ .
2. المعجم الوسيط ، ج١ ، ص ٧٠ .
3. النهاية لابن الأثير ، ج١ ، ص ١٥٥ .
٤ . سورة الأنبياء الآية ٣٥ .
٥ . سورة الأنعام الآية ١٦٥ .
٦ . سورة الكهف الآية ٧ .
٧ . سورة الملك الآية ٢ .

يصيبهم مما يثقل عليهم كالمرض والفقر والمصائب المختلفة، كما يختبرهم بما ينعم عليهم من النعمة المختلفة التي تجعل حياتهم في رفاهية ورخاء وسعة العيش كالصحة والغنى ونحو ذلك. ليتبين بهذا الامتحان من يصبر في حال الشدّة ومن يشكر في حال الرخاء والنعمة، قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)[1] .

ارتباط الابتلاء بالتمكين:

فقد جرت سنة الله عز وجل ألا يمكن لأمة من الأمم حتى ينصهر معدنها في بوتقة المحن والأحداث، وحتى تمر بمراحل الاختبار المختلفة ليميز الله الخبيث من الطيب.

قال الإمام الشافعي حين سأله رجل :أيهما أفضل للمرء، أن يُمَكَّنْ أو يبتلى؟ فقال الإمام الشافعي :لا يُمَكَّنْ حتى يبتلى، فإن الله تعالى ابتلى نوحًا وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم ,فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة.

وقد بين القرآن الكريم أن الهدف من الابتلاء هو الوصول إلى الإنسان الصالح الذي يعمر الكون، ويصلح الحياة، وتستقيم به الأمور ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾

وللوصول إلى ذلك الإنسان الصالح (جعل الله تعالى شأنه محكا لتمييز الخبيث من الطيب، وأرشد سبحانه رسله وأنبياءه إلى ذلك المحك ليقوموا بموجبه بذلك الفرز والتمحيص، وليسنوه بعد ذلك للسائرين على طريقهم، والمتبعين لخطاهم من البشر ليصلوا إلى المعادن الصالحة من بني الإنسان الذي سيكون على عاتقهم تسيير دولاب الحياة البشرية على هذه الأرض، ذلك المحك هو الابتلاء والاختبار والامتحان..)[1]

---

١ . سورة الأنبياء ، الآية ٣٥ .

١ . الطريق إلى جماعة المسلمين ، أ / حسين محسن علي جابر ص ٢١٨ ، دار الوفاء . المنصورة ط٤ ١٤١٠هـ =

سنة الابتلاء في غزوة أحد:

قال تعالى: { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) }[1]

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)

١٩٩٠م .

١ . [آل عمران/١٣٧-١٤٨] }

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور﴾[1]

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[2]

تتحدث هذه الآيات الكريمة وغيرها عن طرف من الأحداث التي وقعت في غزوة أحد، وما أصاب المسلمين فيها من محنة وابتلاء، مبينة لهم بعض الأسرار والحكم من هذا الابتلاء.

<u>حكمة الابتلاء وفوائده: للابتلاء حكم كثيرة من أهمها:</u>

١ . <u>تصفية الصفوف:</u> جعل الله الابتلاء وسيلة لتصفية نفوس الناس، ومعرفة المحق منهم والمبطل؛ وذلك لأن المرء قد لا يُكشف في الرخاء، لكنه تكشفه الشدة، قال تعالى ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾[3]، وما حدث في

١ . سورة آل عمرتن الآيتان ١٥٢ ، ١٥٣

٢ . سورة آل عمران الآيات ١٦٥ . ١٦٧ .

٣ . سورة العنكبوت الآية ٢ .

غزوة أحد كان تنقية للصف المسلم، فقد توافد الناس على الدخول في الإسلام بعد انتصار بدر، فكان ولا بد من محك يتميز فيه الخبيث من الطيب.

٢. تربية الجماعة المسلمة: لتستطيع القيام بالمهمة العظيمة التي كلفت بها

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله (ثم إنه الطريق الذي لا طريق غيره لإنشاء الجماعة، التي تحمل هذه الدعوة وتنهض بتكاليفها، طريق التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال، وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة، ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عودًا، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها إذن والصبر عليها، فهم عليها مؤتمنون)[١]

٣ . الكشف عن خبايا النفوس:

*يقول صاحب الظلال" :*والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدًا إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه".[٢]

٤ . الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة: من أهداف الابتلاء الوصول للإنسان الأحسن والأصلح الذي يستطيع تحمل الأمانة وتسيير دولاب الحياة.

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال" :وما بالله – حاشا لله – أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وإلا بالاستعلاء الحقيقي

١ . الظلال ١ / ٥٣٩

٢ . الظلال ٥ / ٢٧٢٠

على الشهوات ,وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله وثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء، والنفس تصهرها الشدائد ,فتنفي عنها الخبث وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل. وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامدًا إلا أصلبها عودًا وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار".[1]

٥ . معرفة حقيقة النفس: فلا يستطيع الإنسان الوقوف على حقيقة نفسه حال الرخاء فقط، فكان ولا بد من أن تمر النفس بمحكات عملية ينصهر فيها معدنها فتظهر على حقيقتها، والدعاة إلى الله تعالى في حاجة إلى التعرف على حقيقة نفوسهم للوقوف على جوانب القصور فيها وتقديم العلاج المناسب لحالات الضعف التي تمر بها النفس، ومن خلال الابتلاء والاختبار يستطيع الدعاة إلى الله تعالى معرفة مداخل الشيطان إلى هذه النفوس، ومزالق الطريق ومسارب الضلال.

٦ . معرفة قدر الدعوة: فبقدر ما يتحمل الدعاة إلى الله تعالى في سبيل الدعوة، وبقدر ما يعلمون ما أعد الله لهم من جزاء نتيجة صبرهم على الابتلاء بقدر ما يعلو قدر الدعوة في نفوسهم، ويرتفع شأنها فلا يفرطون فيها بعد ذلك مهما كانت الأحوال.

٧ . الدعاية لها :فصبر المؤمنين على الابتلاء دعوة صامتة لهذا الدين وهي التي تدخل الناس في دين الله، ولو وهنوا أو استكانوا لما استجاب لهم أحد، لقد كان الفرد الواحد يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يمضي إلى قومه يدعوهم، ويصبر على تكذيبهم وأذاهم، ويتابع طريقه حتى يعود

١ . الظلال ٥ / ٢٧٢١ .

بقومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٨ . جذب بعض العناصر القوية إليها: وأمام صمود المسلمين وتضحياتهم، تتوق النفوس القوية إلى هذه العقيدة، ومن خلال الصلابة الإيمانية تكبر عند هذه الشخصيات الدعوة وحاملوها، فيسارعون إلى الإسلام دون تردد، وأعظم الشخصيات التي يعتز بها الإسلام دخلت إلى هذا الدين من خلال هذا الطريق

٩ . رفع المنزلة والدرجة عند الله، وتكفير السيئات :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة "[١]

فقد يكون للعبد درجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمله فيبتليه الله تعالى حتى يرفعه إليها، كما أن الابتلاء طريق لتكفير سيئات المسلم.

***كما أن للابتلاء فوائد عظيمة منها* :معرفة عز الربوبية وقهرها، معرفة ذل العبودية وكسرها، الإخلاص، الإنابة إلى الله والإقبال عليه، التضرع والدعاء، الحلم عمن صدرت عنه المصيبة، العفو عن صاحبها، الصبر عليها، الفرح بها لأجل فوائدها، الشكر عليها، رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم، معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها، ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها، وغير ذلك من الفوائد.

١ . رواه مسلم بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، حديث رقم ٢٥٧٢ .

المبحث السابع
دور المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله تعالى

للمرأة دور كبير في الدعوة إلى الله تعالى وإرشاد المجتمع والمساهمة في إصلاحه، وقد تضافرت النصوص من القرآن والسنة تؤكد هذا الأمر وتوضحه.

قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)[1]، وهذا دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليهن كوجوبه على الرجال، حيث وجدت الاستطاعة.

(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْروفاً)[2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْروفاً): " أَمَرَهُنَّ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَر "[3]

وكذلك عموم الأدلة على وجوب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كقول الله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ)[4]

من مجمل الأدلة السابقة يتبين لنا أن على المرأة دورا في الدعوة وإصلاح المجتمع كما هو على الرجل تماما كل بحسب طاقته وقدرته.

وقد قامت المرأة المسلمة بدورها في الدعوة في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) سواء أكان ذلك في المرحلة المكية أم في المرحلة المدنية، وقد شاركت الصحابيات

---

١ . [التوبة : ٧١]

٢ . [الأحزاب : ٣٢]

٣ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤ / ١٧٨ دار الكتب المصرية ط٢ ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م .

٤ . [آل عمران : ١٠٤]

(رضوان الله عليهن) في جميع ميادين الدعوة إلى الله تعالى، فكان لهن دور بارز في حماية الدين الإسلامي، والمشاركة في كثير من الغزوات، وكانت غزوة أحد من الغزوات التي ساهمت فيها المرأة المسلمة، وكان لها أثر بالغ في سقي العطشى، ومداواة الجرحى، بل والمشاركة في القتال والدفاع عن النبي (صلى الله عليه وسلم).

صور مشاركة المرأة المسلمة في غزوة أحد:

أ- سقي العطشى من المجاهدين:

عن أنس – رضي الله عنه – قال: (لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهن تنقزان القرب، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم[1].

وقال كعب بن مالك – رضي الله عنه –: رأيت أم سليم بنت ملحان وعائشة على ظهورهما القرب يحملانها يوم أحد، حمنة بنت جحش تسقي العطشى وتداوي الجرحى، وكانت أم أيمن تسقي الجرحى[2].

ب- مداواة الجرحى ومواساة المصابين:

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى [3].

وأخرج عبد الرزاق عن الزهري: كان النساء يشهدن مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد ويسقين المقاتلة ويداوين الجرحى[4]. وعن الربيع بنت معوذ قالت: كنا مع

---

١ . البخاري، كتاب الجهاد واليسر، باب غزو النساء رقم ٢٨٨٠.

٢ . المغازي للواقدي (١/ ٢٤٩).

٣ . مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء، رقم ١٨١٠.

٤ . البخاري فتح الباري لابن حجر (٦/ ٩٢) عند حديث رقم ٢٨٨٠.

النبي صلى الله عليه وسلم نسقي القوم، ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة، وفي رواية: كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة[1]. وعن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد – رضي الله عنه – وهو يسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله، ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسله، وعلي يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم[2].

ج- الدفاع عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم بالسيف:

قال ابن هشام: (وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد، فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك.

فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين.

فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ، فقمت أباشر القتال، وأذبُّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إلي.

قالت: فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت لها: أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة، أقمأه الله، لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول: دلوني على محمد لا نجوت إن نجا.

فاعترضت له أنا، ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ، فضربني

---

١ . البخاري، كتاب الجهاد والسير رقم ٢٨٨٢، ٢٨٨٣.

٢ . البخاري، كتاب المغازي، رقم ٤٠٧٥.

هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان)[1]

دروس في الصبر تقدمها الصحابيات للأمة:

أ- صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

لما استُشهد أخوها حمزة بن عبد المطلب – رضي الله عنه – في أحد وجاءت لتنظر إليه وقد مثل به المشركون؛ فجدعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام: «القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها» فقال لها: يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مُثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

فلما جاء الزبير بن العوام – رضي الله عنه – إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: «خلِّ سبيلها» فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت ، واستغفرت له [2].

ب- حمنة بنت جحش رضي الله عنها:

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من دفن أصحابه –رضي الله عنهم– ركب فرسه وخرج المسلمون حوله راجعين إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حمنة: «احتسبي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «أخوك عبد الله بن جحش» قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له، هنيئًا له الشهادة، ثم قال لها: «احتسبي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «خالك حمزة بن عبد المطلب» قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له، هنيئا له الشهادة، ثم قال لها: «احتسبي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «زوجك مصعب بن عمير»، قالت: واحزناه، وصاحت وولولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن زوج المرأة منها

---

١ . سيرة ابن هشام ٢ / ٨١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر ط٢ ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م .

٢ . السابق ٢ / ٩٧ .

لبمكان»

لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها، وصياحها على زوجها ثم قال لها: «ولم قلت هذا؟» قالت: يا رسول الله ذكرت يتم بنيه فراعني، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولولدها أن يحسن الله تعالى عليهم من الخلف[1].

ج- المرأة الدينارية رضي الله عنها:

قال سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل[2]، تريد صغيرة، وهكذا يفعل الإيمان في نفوس المسلمين.

د- أم سعد بن معاذ وهي كبشة بنت عبيد الخزرجية رضي الله عنها:

خرجت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على فرسه، وسعد بن معاذ آخذ بعنان فرسه، فقال سعد: يا رسول الله، أمي، فقال رسول الله: «مرحبًا بها» فدنت حتى تأملت رسول الله فقالت: أما إذا رأيتك سالمًا، فقد أشوت المصيبة، فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمرو بن معاذ ابنها، ثم قال: «يا أم سعد، أبشري وبشري أهليهم أن قتلاهم قد ترافقوا في الجنة جميعًا، وهم اثنا عشر رجلاً، وقد شفعوا في أهليهم» قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: ادع يا رسول الله لمن خُلفوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف

---

١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤ / ٢٢٧ دار الكتب العلمية . بيروت ط١ ١٤١٤هـ = ١٩٩٢م.

٢ . سيرة ابن هشام ٢ / ٩٩ .

على من خُلفوا»[1].

١ . سبل الهدى والرشاد ٤ / ٢٢٩ .

الخاتمة

الحمد لله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.. وبعد،،،

فبعد هذه الدراسة الدعوية لأحداث غزوة أحد يتبين الآتي:

١ . أن التخطيط سمة بارزة من سمات الدعوة الإسلامية، وقد اهتم به النبي ﷺ في كافة مراحل الدعوة وأطوارها مع التوكل التام على الله تعالى.

٢ . أن الشورى ركيزة أساسية في بناء الدولة الإسلامية، وكانت من أهم صفات النبي ﷺ.

٣ . أن أحداث غزوة أحد كانت تربية للصحابة الكرام (رضي الله عنهم) ولمن جاء بعدهم من الدعاة على:

أ . الوحدة والترابط ونبذ الفرقة والاختلاف.

ب . أن حب الدنيا رأس كل خطيئة.

ج . طاعة القيادة وعدم العصيان لها (ما دامت الطاعة في المعروف).

د . الالتفاف حول المبادئ لا الأشخاص، والارتباط بالدعوة والتمسك بها.

هـ . ان النصر بيد الله وحده، وأنه لا يتنزل إلا على المؤمنين ولن يكون إلا بهم.

٤ . أن الابتلاء سنة من سنن الله تعالى، وأنه لن تمكن أمة حتى ينصهر معدنها في بوتقة المحن والأحداث.

٥ . أن على المرأة دورا عظيما في الدعوة إلى الله تعالى.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عما فيه من نقص أو خطأ أو تقصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

المراجع

١ـ أبجديات التصور الحركى للعمل الإسلامى أ / فتحى يكن، مؤسسة الرسالة ط٤ ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان

٣ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، دار السلام . الرياض ط٢ ١٤١٨هـ =١٩٩٨م

٤ . تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الهيئة المصرية العامة للكتاب ,١٩٩٠

٥ ـ التخطيط الإدارى، تأليف: كيت كينان، ترجمة: محمود الحلبى الدار العربية للعلوم ط١ ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

٦ . جامع البيان عن تاويل آي القرآن (تفسير الطبري)، مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٧ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب المصرية ط٢ ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٨ . خصائص التصور الإسلامى أ / محمد قطب.

٩ . الدعاة والتخطيط للشيخ / محمد عبد الله الخطيب، دار المنار الحديثة . القاهرة ط٢ ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

١٠ ـ الرحيق المختوم (صفي الرحمن المباركفوري) دار السلام . الرياض ط١ ١٤١٨هـ

١١ . سمات المجتمع المسلم أ / محب المحجرى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بدون.

١٢ . السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث) للدكتور / علي محمد

الصلابي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ط٢ ١٤٢٤هـ = [1]٢٠٠٣م

١٣ـ السيرة النبوية لابن هشام، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ط٢ ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

١٤ . السيرة الحلبية، دار الكتب العلمية . بيروت ط٢ ١٤٢٧هـ.

١٥ . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، دار الكتب العلمية . بيروت ط١ ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

١٦ . سيرة ابن اسحاق ، دار الفكر . بيروت ط١ ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

١٧ . الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم د / يوسف القرضاوي مكتبة وهبة

١٨ . ضوابط المعرفة واصول الاستدلال والمناظرة، لحبنكة الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

١٩ . الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع للشيخ / محمد بن صالح العثيمين، دار المسلم . الرياض ط١ ١٤١٢هـ.

٢٠ . الطريق إلى جماعة المسلمين، أ / حسين محسن علي جابر، دار الوفاء . المنصورة ط٤ ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

٢١ . غزوة أحد (دراسة دعوية) أ / محمد عيظة سعيد بامدحج، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٢٢ . في ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب، دار الشروق ط١٧ ١٤١٢هـ

٢٣ . فى التدريب التربوى للأستاذ / مصطفى الطحان، دار الوثائق . الكويت ط١ ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م

٢٤ . القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار القلم . دمشق ط١ ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م

٢٥ . مجموعة الرسائل للإمام الشهيد / حسن البنا ص١٧٧ دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

٢٦ . المدخل إلى علم الدعوة د / محمد أبو الفتح البيانونى، مؤسسة الرسالة ط٣ ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

٢٧ . . المغازي للواقدي، دار الأعلمي . بيروت ط ٣ ١٩٨٩م = ١٤٠٩هـ

٢٨ ـ المنهج الحركي للسيرة النبوية للأستاذ / منير الغضبان، دار الوفاء ط١٠ ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**٤١٩**
المبحث الأول بعنوان: التخطيط وأهميته في مجال الدعوة إلى الله تعالى	٤٢٤
المطلب الأول: مفهوم التخطيط لغة واصطلاحا	**٤٢٥**
المطلب الثانى: أهمية التخطيط وضرورته للعمل الدعوى	٤٢٦
المطلب الثالث: تخطيط الرسول ﷺ في غزوة أحد	٤٢٤
المبحث الثاني: صفات الدعاة من خلال أحداث غزوة أحد	**٤٣٩**
المطلب الأول: العزيمة وعدم التردد	٤٤٠
المطلب الثاني: البذل والتضحية	٤٤١
المطلب الثالث : الرفق بالمدعوين وعدم تيئيسهم	٤٤٧
المطلب الرابع : العزة والإباء وعدم الوهن والضعف	٤٥٣
المطلب الخامس : صفات أخرى (العفو . الاستغفار . الاستعانة بالله واللجوء إليه . الشورى . الاستفادة من الأخطاء . القلب الكبير)	٤٥٧
المبحث الثالث: أهمية الشورى في الدعوة إلى الله تعالى	**٤٥٩**
المطلب الأول: أهمية الشورى في حياة الأمة	٤٦٠
المطلب الثاني: الشورى في غزوة أحد	٤٦٣
المبحث الرابع: معوقات في طريق الدعوة من خلال أحداث غزوة أحد	**٤٦٨**
المطلب الأول: الاختلاف والتنازع	٤٧١
المطلب الثاني: إيثار الدنيا على الآخرة	٤٧٣
المطلب الثالث : مخالفة أمر القيادة	٤٧٧
المطلب الرابع : الالتفاف حول الأشخاص دون المبادئ	٤٨١

المبحث الخامس: قوانين النصر والهزيمة من خلال أحداث غزو أحد..... ٤٩١
المطلب الأول : النصر بيد الله وحده ولن يقف أحد أمامه مهما كانت قوته ٤٩٢
المطلب الثاني : نصر الله تعالى لا يتنزل إلا على المؤمنين ٤٩٣
المطلب الثالث : الوحدة والترابط أساس في النصر، والتفرق والاختلاف سبب للفشل والهزيمة ٤٩٣
المطلب الرابع: الطاعة لله ولرسوله أساس في النصر، أما المعصية فتقود إلى الهزيمة ٤٩٤
المطلب الخامس: حب الدنيا رأس كل خطيئة..... ٤٩٥
المبحث السادس: سنة الابتلاء..... ٤٩٧
المبحث السابع: دور المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله تعالى ٥٠٤
الخاتمة..... ٥١٠
المراجع..... ٥١١
فهرس الموضوعات ٥١٤

* * *